ربط الجملة الفرعية بالضمير أو بالواو ودوره في تماسك النص
دراسة في كافوريات المتنبي

د. فايز صبحي عبد السلام تركي
محاضر العلوم اللغوية ، ورئيس قسم اللغة العربية
بكلية المعلمين - جامعة سبها
ليبيا - وادي الحياة - الغريفة

مقدمـــة :

الحمـد لله رَبِّ العالمين ، والصلاة والسلام على خير خَلْقه ، سيدنا محمد وعلى آلـه وصحبه أجمعين ، أمـا بعـد ،

فإنَّ النَّاظر في النَّص الشعري ، وبخاصة العمودي منه - على مرِّ العصور ، بدايةً من العصر الجاهليّ ومروراً بصدر الإسلام حتى وقتنا الحاضر - بوزنه وقافيته على هيئته الوارد بها ، يجد أنَّ فيما وراء الوزن والقافية تكمُن مجموعةٌ من العناصر ، التي يمكن من خلال تلمُّسها إظهار الفاعلية والثراء والكفاءة النَّصية في النَّص ، أي ما بها يكون النَّص نصًّا ، ومن أهمها روابط التركيب ، والتي تسهم في مدى دقّة السَّبْك والحَبْك في النَّص ، إذ إنَّ التراكيب هي التي يتكون منها النَّص في مجمله .

ولمَّا كان ذلك كذلك ، فإنَّه من المفيد بمكان الإشارة إلى أنَّ الرَّبْط يعدُّ قرينةً لفظيةً ، تهدف إلى تحقُّق علاقة الاتصال بين المترابطَين ، ولمّا كان التركيب جزءًا من الكلام - وهذا ما يقصده المبدع - فلابدَّ مَن رابطة ، تربطه بالجزء الآخر في كثير من المواضع ، وهذا الرابط - كما سنشير فيما بعد - ينقَسِم إلى الرَّبْط بالضمير في جملة الحال والصفة والموصول والخبر . . . إلخ ، والرَّبْط بتكرار الظاهر ، والرَّبْط بالحرف ، نحو الرَّبْط بالواو في جملة الحال ، والرَّبْط بالفاء في جواب الشرط ، الذي لم تتوفر

فيه شروط جملة جواب الشرط أو في جواب أمَّا ، وكذلك اللام الواقعة في جواب لولا ، أو في جواب القسم ، وغير ذلك ممّا يسمى بالرَّبْط بطريق غير المطابقة ، وهو ما يقابله الرَّبْط بطريق المطابقة في الشخص والعدد والتعيين والنوع .

ولمَّا كانت هذه الدراسة دراسةً وصفيةً تحليليةً ، مُوضحةً دور الرَّبْط بالضمير والواو في السَّبْك والحَبْك في كافوريات المتنبي ، فإنَّه ممّا لا شَك فيه أنَّ الدراسات قد كَثُرت حول المتنبي ؛ وذلك من مُنطلق أنَّه «عرف كيف يوائم بين نفسه المحتدمة ، وبين ثقافة عصره ، والتي كانت مزيجًا ذكيًا من عدة حضارات ؛ ولأنَّه عرف كيف يفيد من هذا كلِّه ، بحيث ينطبق عليه القول بأنَّه كان شاعرًا يتفلسف ، وأنَّه من خلال شعره قد تفجّرت عبقرية اللُّغة العربية ، ووصلت إلى المدى الأسمى ، الذي يمكن أنْ تُقدِّمه اللُّغة ، بل يمكن القول بأنَّه عرف كيف يخاطب القارئ العربي بالطريقة التي ترتضيها مسيرة الحضارة في مُجْملها ، والتي نعني بها البساطة والحيوية»[1] . وعلى الرغم من هذه الكثرة في الدراسات ، فلم أرَ مَنْ تناول روابط الجملة أو التركيب في شعر المتنبي ، وبخاصة بيان دورها في تماسك النص أو ما يسمى بالسَّبْك والحَبْك في إطار من الوصف والتحليل والملاحظة والتجريد ، وإذا كان ثَمَّة مَنْ تناولها ، فإنَّ هذا البحث يتناولها من منطلق أنَّه «ليس للنَّصِّ معنىً محددٌ ، فليست هناك بؤرةٌ مركزيةٌ ، يتمحور حولها هذا المعنى ، ولكن هناك دائمًا لعبٌ للدوال ، وانديا حٌ للمعنى نتيجةً لذلك ، إلى غير نهاية وبلا حدود ؛ ومن ثَمَّ تنتفي قابليته للتفسير النهائي»[2] .

وممّا لا شك فيه أنَّ أسباب اختيار هذا الموضوع تكمُن في انتفاء قابلية النَّص للتفسير النهائي ، وكون الرَّوابط تسهم بنصيب كبير في تشكيل المعنى في شعر المتنبي ، أضف إلى ذلك مكانة شعره ، الذي ملأ الدنيا ، وشغل الناس ؛ ومن ثَمَّ كان هذا البحث في رَبْط الجملة بما هي خبرٌ عنه بالضمير والواو دون بقية الرَّوابط اللفظية وغير اللفظية تحجيمًا للبحث ؛ وذلك للتعرف على الخصائص التعبيرية للرَّبْط بالضمير والواو ، ودورهما في توافُق النظام النحوي مع النَّسْج الشعري ؛

ومن ثم استقامة الوزن في اتّجاه صَحّة القافية ، أي بيان مدى دورهما في تحقُّق ظاهر النَّص (السَّبْك) وعالم النَّص (الحَبْك) ، وهذا ما سأحاول بيانه على مدار البحث ، معتمداً في ذلك على ديوان المتنبي بشرح أبي العلاء المعري (معجز أحمد) ، تحقيق ودراسة الدكتور عبد المجيد دياب ، نشر دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، عام ألف وتسعمائة واثنين وتسعين من الميلاد .

وأشير هنا إلى أنَّ المقصود برَبْط الجملة الفرعية بما هي خبرٌ عنه بالضمير أو بالواو الجملُ الجارية على المفردات في الحال والصِّفة والصِّلة والخبر ، حيث إنَّ الضمير يأتي رابطًا في كلِّ هذه الجمل بما سبقها ، أضف إلى ذلك أنَّ جملة الحال بجانب رَبْطها بالضمير ، قد تأتي مشتملةً على الرَّبْط بالواو وحدها أو بالواو والضمير معًا[٣] . وقد حصرت مادة البحث في الكافوريات ، وهي شعْره في مصر ، والذي نظمه بين الثالثة والأربعين والسابعة والأربعين ، وذلك لكَون شعره في الكافوريات - على حدِّ قول الدكتور عبد المجيد دياب - : «بريئًا من السَّخف واللَّغو أو كاد . والمُدقق في كافوريّاته يرى من جلال المعنى وجمال اللفظ والصياغة ما يشهد أنَّه بلغ به جمال النُّضج ، ونحن نشاطر بهذا القول : اليازجي وطه حسين وأنيس المقدسي وغيرهم»[٤] ؛ ومن ثَمَّ كان عنوان البحث لله رَبْطُ الجملة الفرعية بالضمير أو بالواو ودوره في تماسك النص ، دراسة في كافوريات المتنبي . وهذه الكافوريات ، مادة البحث قوامها ستمائة وواحدٌ وستون بيتًا موزعةً على تسعٍ وستين قصيدة ومقطوعة ، منسوجةً على بحور الطويل والخفيف والبسيط والسريع والوافر والمتقارب والكامل ، وكان رَويُّ هذه البحور متنوِّعًا بين الفتح والضم والكسر دون الرَّويِّ المُقيّد ، وقد كان محور الكافوريات حول مَدْح كافور أو هجائه أو تهنئته ، أو وصْف شيء ما ، نحو الحُمّى والديار ، كما كان بعضها في الحِكَم أو ذكْر حال المتنبي ، أو الرثاء على نحو رثائه لأبي شجاع «فاتك» .

والجدير بالذِّكر أنَّ المنهج المُتّبع في هذا البحث هو المنهج الوصفيّ التحليلي ، يرافقه الإحصاء ، مع تأمُّل هذا الإحصاء ومقارنة بعضه بعضًا كلمّا أمكن والخروج

ببعض السمات التعبيرية من جرّاء هذه المقارنة ، ودور ذلك في الجانب الدلاليّ ، ومن ثم في السَّبْك والحَبْك .

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أنْ يكون في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث - حمل المبحث الأول منها عنوان الرَّبْط بالضمير ، والثّاني عنوان الرَّبْط بالواو ، والثالث عنوان الرَّبْط بالواو والضمير - وخاتمة بأهم النتائج ، ثُمَّ قائمة المصادر والمراجع ، ولا أزعم أنَّ بحثي هذا مبرأٌ من الخطأ و النسيان ، فكلاهما جائزٌ على الإنسان ، وما توفيقي إلا بالله .

التمهيد :

جاءت دراسة الرَّبْط عند القدماء - باستثناء المتأخرين منهم ، نحو ابن هشام في مغني اللبيب - في أماكن متفرقة من مؤلفاتهم ، لكنَّهم لم يُفصّلوا القول فيه على قدر تفصيلهم في ظواهر أخرى ، نحو الحذف والتقديم والتأخير والإعراب ، وغير ذلك ، وإنَّما أشاروا إليه إشارات ، نستطيع من خلالها التوصُّل إلى أنَّهم أدركوه [٥] ، وعرفوا قيمته ، وما حديثهم عنِ الرَّبْط بالضمير ، ووجوب الرَّبْط بالواو وامتناعها وجوازها إلاّ في إطار هذه المعرفة وتلك القيمة ، وهذا ما سيظهر لنا على مدار هذا البحث ، يقول الرضي مثلاً : «الجملة في الأصل كلامٌ مستقلٌّ ، فإذا قصدت جَعْلها جزءًا من الكلام ، فلابدَّ من رابطة ، تربطها بالجزء الآخر ، وتلك الرَّابطة هي الضمير ، إذ هو الموضوع لمثل هذا الغرَض» [٦] .

وعلى الرغم من ذلك ، فإن ?من المحدثين مَنْ يقول : «يمكننا القول بأنَّ العلماء العرب الأوائل ، أمثال الخَليل وسيبويه والكسائي والفرّاء وغيرهم ، لم يشيروا في مؤلفاتهم ودراساتهم إلى الرَّبْط ومفهومه إشارةً ، تؤكِّد إدراكهم لدوره وقيمته باعتباره قرينةً لفظيةً ، أو بوصفه ظاهِرةً تركيبيةً مؤثرةً على توثيق عناصر التراكيب والجمل العربية وتماسكها . وإنَّما جاءتْ إشارات تمثل بعض الملاحظات المبثوثة هنا وهناك في ثنايا الأبواب النَّحويّة ، بحيث لا يمكننا القول معها بأنَّهم أدركوا قيمة الرَّبْط أو وقفوا على أهميته باعتباره عنصراً أساسيًا من عناصر التماسك بين

أجزاء الجملة أو أنَّ لهم نظرةً منهجيةً أو رؤيةً علميةً شاملةً حول فاعلية الرَّبْط» [٧] . ومما لا شك فيه أنَّ الرَّبْط يعدُّ قرينةً من قرائن الإفادة في الدرس اللغوي ؛ ومن ثَمَّ البيان والوضوح في النَّص ، وهو ما يترتب عليه القول بحُسْن السَّبْك والحَبْك من عدمه . فهذا السَّبْك بما يتضمنه من الرَّبْط والتضام والرتبة والإعراب والبنية ، وغير ذلك من القرائن ، كلُّ ذلك يُطلق علية قرائن الإفادة ، التي يعتمد عليها النظام النَّحويّ [٨] ، وهى ما يترتب عليها تحقُّق الاستمرارية الدلالية في عالم النَّص « الحَبْك» .

ولَمَّا كان ذلك كذلك ، فإنَّه يترتب عليه التواصل بين المبدع والمتلقي ؛ ومن ثَمَّ تحقُّق التواصلية النَّصية للنَّص ، وهنا يحضرنى ما قاله الدكتور سعد مصلوح نقلاً عن روبرت ألن دي بوجراند حيث يرى أنَّ النَّص «حدثٌ تواصليٌّ municative occurence يلزم لكَونه نصًا أنْ تتوافر له سبعة معايير مجتمعة ، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحدٌ من هذه المعايير :

١ – السَّبْك cohesion . ٢ – الحَبْك coherence . ٣ – القَصْد intentionality .
٤ – القبول acceptability . ٥ – الإعلام informatlvity . ٦ – المقامية situationality .
٧ – التَّناص intertextuality .

ويمكن تصنيف هذه المعايير السبعة في :

١ – ما يتصل بالنَّص في ذاته text-centered وهما معيارا السَّبْك والحَبْك .

٢ – ما يتصل بمستعملي النَّص ، سواء أكان المستعمل منتجا أم متلقيا user centered ، وذلك معيار القصد والقبول .

٣ – ما يتصل بالسِّياق المادِّي والثقافيّ المحيط بالنَّص ، وذلك معايير الإعلام والمقامية والتَّناص . ولاشك أنَّ إعمال تلك المعايير السبعة في تحديد ما به يكون الكلام نصًا إنَّما يعدِّل من نظرتنا إلى التقابل المفترض بين مفهومي الجملة والنَّص» [٩] .

وتوضيحًا لَمَا سبق في المقدمة ، فإنَّ ما في هذا البحث من روابط يُقصد به الرَّوابط اللفظية في التركيب ، وما يكتنفها من ضبط العلاقة بين أجزاء التراكيب ،

وهو ما يندرج تحت ما يسمى بالرَّبْط بطريق غير المطابقة[١٠] . ولا شك في أنَّ ما يقوم عليه هذا البحث من روابط دون غيرها تشكِّل أظهر الرَّوابط في كافوريات المتنبي ؛ ومن ثَمَّ كان تسليط الضوء عليها لما لها من أهمية بالغة في تحقُّق التماسك النَّصي - على الرغم ممّا يُعرف عن المتنبي أنَّه من شعراء البيت الواحد - حيث إنَّ المقصود بقرينة الرَّبْط في النظام النَّحويّ لله إحكام العلاقة بين أطراف التراكيب ، سواءٌ أكان هذا التركيب من متعاطفين ، أو مستثنى منه ومستثنى ، أو من شرط وجزاء أو كان من ذي جواب وجوابه . . إلخ . ويكون الرَّبْط بعود الضمير وباسم الإشارة وإعادة الذِّكر وإعادة المعني أو بأل أو بحرف الجواب أو الأدوات الداخلة على الجمل أو الحروف الداخلة على المفردات كحرف الجرِّ وحرف العطف وهلم جرًا ، والمعنى بدون هذه الرَّوابط عُرْضةٌ للَّبس أو البطلان» [١١] .

نأتي إلى توضيح مفهوم السَّبْك والحَبْك ، واللذان بهما يتحقق الإفصاح والإبانة عن النَّص ، فيمكن الإشارة إلى أنَّ معيار السَّبْك يختص» بالوسائل التي يتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النَّص surface text ونعني بظاهر النَّص الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزَّمنيّ ، والتي نخطُّها أو نراها بما هي كمٌّ متَّصلٌ على صفحة الورق . وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعًا للمباني النَّحويّة ، ولكنَّها لا تشكّل نصًّا إلا إذا تحقق لها من وسائل السَّبْك ما يجعل النَّص محتفظًا بكينونته واستمراريته . ويجمع هذه الوسائل مصطلحٌ عامٌّ هو الاعتماد النَّحويّ grammatical dependency ، ويتحقق الاعتماد في شبكة هرمية ومتداخلة من الأنواع هي :

١ - الاعتماد في الجملة intra - sentential .

٢ - الاعتماد فيما بين الجمل inter-sentential .

٣ - الاعتماد في الفقرة أو المقطوعة .

٤ - الاعتماد فيما بين الفقرات أو المقطوعات .

٥ - الاعتماد في جملة النَّص»[١٢] .

ومعنى ذلك أنَّ نحو اللغة العربية والعمليات النَّحويّة نفسها داخل النَّص مثل الحذف جزءٌ من السَّبْك بالإضافة إلى انتقاء المفردات ، وهو ما جعل كلاً من هاليداي ورقية حسن يقسّمانه إلى سبك نحويٍّ وآخر معجميٍّ[١٣] .

ولمّا كان السَّبْك (التلاحم النَّصيّ) يختص بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النَّص ، فإنَّ معيار الحَبْك (التماسك النَّصيّ) لله يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النَّص textual world ، ونعني بها الاستمرارية الدلالية ، التي تتجلى في منظومة المفاهيم concepts والعلاقات relationsالرَّابطة بين هذه المفاهيم . وكلا هذين الأمرين هو حاصل العمليات الإدراكية المصاحبة للنص إنتاجًا وإبداعًا أو تلقيا واستيعابًا ، وبها يتم حبك المفاهيم من خلال قيام العلاقات (أو إضفائها عليها إن لم تكن واضحةً مستقلةً) على نحوٍ يستدعي فيه بعضها بعضًا ، ويتعلّق بواسطته بعضها ببعض»[١٤] .

والجدير بالملاحظة أنَّ السَّبْك والحَبْك لم يكن من مصطلحات المحدثين شرقيين ، وغربيين فحسب ، بل وجدَ المصطلحان عند القدماء أيضًا في حديثهم عن تلاحم الشعر وجودته ، يقول الجاحظ مثلاً : «وأجود الشعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء سهل المخارج ، فيُعلم بذلك أنَّه أُفْرِغَ إفراغًا جيداً وسُبِكَ سبكًا واحدًا ، فهو يجرى على اللسان كما يجرى على الدهان»[١٥] . وقد عقد أسامة بن منقذ في كتابه البديع في نقد الشعر بابًا بعنوان «الفك والسَّبْك» ، معرِّفًا السَّبْك بقوله : «وأمّا السَّبْك ، فهو أنْ تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره ، كقول زهير :

يَطْعَنُهم ما ارتَموا حتَّى إذَا اطَّعنوا ضَارَبَ ، حتَّى إذَا مَا ضَارَبُوا اعتنقَا

ولهذا قيل : خير الكلام المحبوك المسبوك ، الذي يأخذ بعضه برقاب بعض»[١٦] .

وبناءً على فَهْم القدماء للسبك والحَبْك يقول الدكتور تمام حسان لله السَّبْك إحكام علاقات الأجزاء ، ووسيلة ذلك إحسانُ استعمال المناسبة المعجمية من جهة ، وقرينة الرَّبْط النَّحويّ من جهة أخرى ، واستصحاب الرتب النَّحويّة إلا حين

تدعو دواعي الاختيار الأسلوبيّ ، ورعاية الاختصاص والافتقار في ترتيب الجمل»[١٧] .

ومن خلال ما سبق أوافق الدكتور جميل عبد المجيد في تعقيبه على كلام القدماء وكلام الدكتور تمام ، إذ يقول : «وهذا الكلام يكاد يتطابق - معنىً - مع ما قاله هاليداى ورقية حسن وغيرهما ، من انقسام السَّبْك إلى سبك معجميٍّ وسبك نحويٍّ»[١٨] وفيما سبق أيضًا يتضح لنا أنَّ الرَّوابط بأنواعها المختلفة تعدُّ من الوسائل التي ينسبك بها النَّص ؛ ومن ثَمَّ إسهامها في إيجاد الاتصال في ظاهر النَّص ، وهو ما يمكن القول معه بتحقُّق الحَبْك ؛ ومن ثَمَّ التلاحم بين بنية ظاهر النَّص ، والاستمرارية الدلالية في عالم النَّص» ، وهذا ما سأحاول تلمُّسه من خلال تناول الرَّبْط بالضمير ، والرَّبْط بالواو ، والرَّبْط بهما معًا في المباحث التالية .

المبحث الأول

الرَّبْط بالضمير

يعدُّ الضمير من الرَّوابط الإحالية في النَّصوص متصفًا بأنَّه معرفةٌ ، متنقلٌ ، مبهمٌ ، أي يحتاج إلى عنصر ، يعود عليه ، يتَّضح به المقصود من الضمير ، يقول ابن يعيش : «المضمر ضربٌ من الكناية ، فكلُّ مضمر كناية ، وليس كلُّ كناية مضمرًا ، وإنَّما المضمرات معارف ؛ لأنَّك لا تضمر الاسم إلا وقد علم السامع على مَنْ يعود ، فلا تقول : ضربته ولا مررت به حتى يعرفه ويدرى من هو . وقالوا المضمر يصلح لكلِّ مذكور ، فلا يخص شيئًا بعينه ، وقد يكون المذكور قبله نكرة ، فيكون نكرة أيضًا على حسب ما يرجع إليه ، وأمّا قولهم : إنَّه يعود إلى نكرة ، فيكون نكرةً ، فنقول : لا نسلم إنَّه يكون نكرة ؛ لأنّا نعلم قطعا مَنْ عُنِى بالضمير»[١٩] .

ولمّا كان الضمير رابطا إحاليًا ، فإنَّه تجدر الإشارة إلى أنَّ ثمة تراكيب يكون الرَّبْط فيها بالضمير ، أو بغيره ، نحو جملة الحال وجملة الصفة وجملة الصلة وجملة الخبر ، وبدل الاشتمال وبدل البعض من الكل والتوكيد المعنوي . وهذا

الرَّبْط بالضمير يعدُّ فرعًا عن الظاهر إذ إنَّ الظاهر أصلٌ والضمير أحدث عمرًا في اللغة منه . وهنا يحضرني قَول الأستاذ على النجدي ناصف - على الرغم طول النَّص : لله يبدو أنَّ الظاهر أقدم عهدًا وأسبق ظهورًا في اللغة من الضمير ؛ لأنَّ الضمير كما تقدم بديلٌ منه ، وكنايةٌ عنه . . . ماذا كانت اللغة تصنع إذًا حين كانت تريد التعبير بأسلوب يحتاج في صياغته إلى الضمير ، كأساليب الموصول وصلته ، وبعض أنواع البدل والحال ؟ لا يخلو الأمر حينئذ من إحدى اثنتين . فإمّا أنَّها لم تكن تعرف هذه الأساليب جملةً ، وأنَّها كانت لذلك تصطنع بديلا منها ، يمكن أنْ يغنى غناءها ما كان ذلك ممكنا ، وإمّا أنَّها كانت تعرفها ، ولكنها تصطنع فيها روابط أخرى غير الضمير . وليس بعيدًا أنْ يكون كلا هذين الفرضين مرحلةً متميزةً من مراحل النمو ، مرت اللغة بها حالاً بعد حال ، كما مرت بمراحل غيرها في سبيل الغاية التي قُدِّر لها أنْ تبلغها . فكانت أول الأمرِ خاليةً من الأساليب التي لابد فيها من الرَّبْط بالضمير ، ثم بدا لها بعدُ أنْ تأخذ بها حين أحسّت حاجة إليها ، وأدركت أنَّها يمكن أنْ تتَّسع لها وتطيق الوفاء بمطالبها ، فكانت هذه الأساليب ، ولكن بروابط غير الضمير . ولا نزال نرى في اللغة أنواعًا منها إلى اليوم ، قد تكون بقيةً من أساليب اللغة في العصر الذي نزعم أنَّه كانت فيه خُلوًا من الضمير ، وأشهر هذه الرَّوابط اثنان : تكرار الاسم الظاهر ، ثم الألف واللام عند كثير من العلماء . . . وثمة ظواهر أخرى ثلاث ، تؤيد أنَّ الضمير أحدث عمرًا في اللغة من الظاهر ، وهى أنَّه عامل تهذيب في الأسلوب ، وداعية ثراء وافتنان في التعبير ،وعون على الإيجاز» [٢١] . ومن ثَمَّ فإنَّه تجدر الإشارة إلى أنَّ إحلال المضمر محل الظاهر يتصل بما يسمى عند النَّصيين بالبنية الإحالية في النَّصوص أو قضية الإشارة والإحالة في الكلام .

وهذا الأمر قد نال اهتمام النحاة والبلاغيين وعلماء اللغة ، فهي «ظاهرةٌ تقع في أساس كل منظومة فكرية . فاللغة نفسها نظامٌ إحاليٌّ ، إذ يحيل على ما هو غير اللغة ، وهى نفسها تشتمل على نوعين من العناصر : إشاريةٌ وإحاليةٌ ، وهما وجهان لابدَّ من النظر فيهما عند دراسة الدلالة اللغوية ، إذ هما أساسها . وقد درس

اللسانيون والمناطقة هذه الناحية ، ونظروا فيها من حيث اتصالها بالمقام ، لكنَّهم لم يتجاوزوا فيها مستوى الجملة . . . وتتسم دراسة النَّصوص قصد إقامة النحو ، الذي يحكمها بأهمية بالغة في بيان كيفية عمل المضمرات فيها من حيث الرَّبْط والإحالة » [٢٢] . وفيما يلي وصفٌ وتحليلٌ للربط بالضمير ، ودوره في السَّبْك والحَبْك في التراكيب التي هي خبرٌ عما قبلها في المعنى في كافوريات المتنبي .

المطلب الأول- الرَّبْط بالضمير في جملة الحال:

لَمَّا كانت الحال تأتي مفردةً وجملةً خبريةً وشبة جملة ، والجملة إمّا أنْ تكون اسميةً أو فعليةً ، وكانت تُرْبَط في الأصل بالضمير - على الرَّغم من أنَّها تُربط بالواو أو بالواو والضمير معًا - فإنَّ هذا الجزء من هذا البحث يدور حول الرَّبْط بالضمير ، سواءٌ أكان هذا في المواضع التي يُمتنع فيها الرَّبْط بالواو ، أي التي يتعين فيها الرَّبْط بالضمير ، أم في المواضع التي يجوز فيها الرَّبْط بالواو والضمير معًا إذا لم يجب الرَّبْط بالواو ولم يمتنع [٢٣] ، وجاءت مربوطة بالضمير فقط ، على الرغم من إمكانية ربطها بالواو أيضا مع الضمير على أنْ يخصص جزءٌ آخر من هذا البحث للحديث عن الرَّبْط بالواو ، يليه الحديث عن الرَّبْط بالواو والضمير معًا .

وهنا أشير إلى أنَّه لَمَّا كان النحاة [٢٤] قد أشاروا إلى أنَّ شبه الجملة (الجار والمجرور والظرف) الواقع حالا يتعلق بمحذوف واجب الحذف ، وهذا المحذوف هو الحال وتقديره (استقر) إنْ قُدِّر أنَّه في محل الجمْلة ، وبمستقر إنْ قُدِّر في محل المفرد - شأن شبه الجملة إذا وقع نعتًا أو صلةً للموصول أو خبرًا - والرَّابط لشبه الجملة بصاحب الحال الضمير المُسْتكنُّ في المتعلّق ، فإنَّني نظرًا لهذا الوجوب لن أتعرض فيما هو آت من البحث للربط بالضمير في شبه الجملة - وهو كثيرٌ في كافوريات المتنبي شأن بقية شعره - الواقع حالاً أو خبرًا أو نعتًا أو صلةً ؛ وذلك منعًا لاستطالة البحث دون فائدة تذكر .

وبالنظر في الكافوريات تبين لي أنَّ الرَّبْط بالضمير في جملة الحال قد جاء في الجملة الفعلية والاسمية ، وشبه الجملة . أمّا عن الجملة الفعلية فقد جاء ذلك في

ثمانية وأربعين موضعًا ، منها أربعون موضعًا حالة كون الجملة مبدوءةً بمضارعٍ مثبت غيرٍ مسبوق بقد ، أو بمضارعٍ منفيٍّ بأداة النفي لا[٢٥] ، ومنها ثمانية مواضع حالةً كونها مبدوءةً بفعلٍ ماضٍ مثبتٍ مصدّرٍ بقد أو غير مصدَّرٍ بها[٢٦] .

وأمّا عن الجملة الاسمية ، التي جاء الرَّبْط فيها بالضمير ، فقد جاء ذلك في أحد عشر موضعًا[٢٧] ، سواء أكانت الجملة اسميةً مجردةً من الناسخ الحرفيّ أو الفعليّ أم منسوخةً بأيِّهما ، وقد يجتمع أكثر من رابط في أكثر من جملة في بيت واحد ، ولكن التقسيم والتجريد فيما يلي من أجلِ تسهيل التناول[٢٨] ، هذا بالإضافة إلى أنَّ هذه الجمل موضع الرَّبْط في بعض منها يحتمل احتمالاً آخر غير الحال ، نحو الحالية والاستئنافية ، لكن ترجيحَ الحال في مثل ذلك أفضل من الاستئناف ، بناءً على أنَّ النَّص وَحْدةٌ واحدةٌ ،

وإنْ تعددت موضوعاته الجزئية[٢٩] .

ولعلَّه من المفيد الإشارة إلى أنَّ هذه المواضع قد جاء الرَّبْط فيها بالضمائر (هو) فاعلا ونائب فاعلٍ و(هي) ، وهاء الغائب للمذكر - حيث تنوع محلُّها بين الجر بالإضافة ، أو بحرفِ الجر ، أو النَّصب على المفعولية - وهاء الغائبة للمؤنث - حيث تنوع محلها مثل هاء الغائب للمذكر - وتاء الفاعل ، وأنت ، وواو الجماعة ، ونون النسوة ، ونحن ، وأنا ، وكاف الخطاب ، وألف الاثنين ، وفيما يلي تمثيلٌ لهذا الرَّبْط في أنماط الجمل المختلفة .

أولاً - الرَّبْط في الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع:

(أ) في الفعلية ذات المضارع المثبت :

جاءت الجملة الحالية ذات المضارع المثبت غير المسبوق بقد في كافوريات المتنبي بدون واو الحال ، ومعنى هذا أنَّها مربوطةٌ بالضمير فقط ؛ «وذلك لأنَّ المضارع على وزن اسم الفاعل لفظًا وبتقديره معنى»[٣٠] ، وفي هذا يقول عبد القاهر الجرجاني أيضًا : «وإن كانت الجملة من فعلٍ وفاعلٍ ، والمضارع مثبتٌ غير منفيٍّ لم

يكد يجيء بالواو ، بل ترى الكلام على مجيئها عاريةً من الواو ، كقولك : جاءني زيد يسعى غلامه بين يديه ، وكقوله :

وَقَدْ عَلَوْتُ قُتُودَ الرَّحْلِ يَنْفَعُنِي يَومٌ قُدَيْدِيمَةَ الجَوْزاءِ مَسْمُومُ[٣١]

لا فصل بين أنْ يكون الفعل لذي الحال ، وبين أن يكون لمَن هو من سببه ، فإنَّ ذلك كلَّه يستمر على الغنى عن «الواو» ، وعليه التنزيل والكلام[٣٢] . ومثال الرَّبْط في الجملة الفعلية ذات المضارع المثبت المجرد من (قد) قول المتنبي[٣٣] : (من الكامل)

فَظَلِلْتَ تَنْظُرُ لا رِمَاحُكَ شُرَّعٌ فِيمَا عَرَاكَ وَلا سُيُوفُكَ قُطَّعُ

بِأَبِي الوَحِيدُ وَجَيْشُهُ مُتَكَاثِرٌ يَبْكِي وَمِنْ شَرِّ السِّلاحِ الأَدْمُعُ

وذلك في قصيدته ، التي قالها في رثاء أبي شجاع (فاتك) بمصر ، وهجاء كافور[٣٤] ، وفي هذين البيتين يقول لفاتك : لمّا نزل بك حادث الموت ، لم تُغْنِ عنك رماحك وسيوفك ، لكنَّك ظللت تنظر إلى أصحابك ، ولا يقدر أحدٌ على دَفْعه عنك ، ويعني في البيت الثاني منهما أنَّ جيش فاتك لا يقدر على دَفْع الموت عنه ، فجعله وحيدًا لا ناصر له ، وكان جيشه يبكي عليه ؛ لأنَّهم لا يملكون له شيئا سوى البكاء ، ثُمَّ قال مستأنفًا بالجملة الاسمية - التي تقدَّم خبرها ، شبه الجملة جوازًا (ومن شرِّ السِّلاح) على مبتدئها المُعرَّف بأل ، المؤخّر إلى مكان القافية (الأدمع) - : والدموع شر السلاح ؛ لأنَّه لا يدفع بها حادثة[٣٥] .

وفى البيت الثاني نلاحظ أنَّ جملة (يبكى) جملةٌ فعليةٌ خبريةٌ مثبتةٌ ، ذات فعلٍ مضارعٍ مثبت ، قد عاقبت المفرد ، أي حلّت محله ؛ لأنَّ «مضمون الحال قيد لعاملها ، ويصح أنْ يكون القيد مضمون الجملة كما يكون مضمون المفرد»[٣٦] ، يقول ابن يعيش : « فإذا قلت : جاء زيدٌ وثوبه نظيف ، في موضع جاء زيد نظيفا ثوبه فكما أنَّ نظيفا نُصب بما قبله من الفعل ، فكذلك الجملة الواقعة موقعه في موضع منصوب ، والعامل فيها ذلك الفعل . . . وقد يقع الفعل موقع الحال إذا كان في معناه ، وكانَ المراد به الحال المصاحبة للفعل»[٣٧] .

ومهما يكن من أمر ، فإنَّ المهم أنَّ هذه الجملة قد اشتملت على رابط لفظيٍّ ، وليس معنويًا ، يربطها بصاحب الحال ، المعرَّف بالإضافة إلى الضمير (جيشه) المبتدأ في جملته ، ولا غرابة في ذلك ، فالحال يبين هيئة ما قبله من فاعل أو مفعول أو هما معًا ، أو غيرهما كالمبتدأ والخبر والمضاف إليه[٣٨] - والرَّابط هو الضمير المُسْتكنُّ (هو) في الفعل (يبكي) ، مطابقًا صاحبه ؛ «لأنَّ الجملةَ كلامٌ مستقلٌّ بنفسه مفيدٌ لمعناه ، فإذا وقعت الجملة حالاً ، فلابدَّ فيها ممّا يعلّقها ويربطها به ؛ لئلا يُتَوهّم أنَّها مستأنفةٌ»[٣٩] . وبذلك أصبحت جملة الحال جزءًا غير إسناديٍّ من أجزائها ، يقول أستاذي الدكتور محمد حماسة : «وبكون الجملة الحالية خبريةً ومصاحبةً لزمن الفعل في الجملة ، ومشتملةً على رابط ، يربطها بجملتها ، وبكونها دالةً على هيئة صاحبها وبكونها في محل نصبٍ تترابط الجملة الحالية مع جملتها ، وتصبح جزءًا غير إسناديٍّ من أجزائها»[٤٠] ، وهو ما أدى فيما نحن بصدده من تحليل إلى تحقُّق الاستمرارية في ظاهر النَّص ، بالإضافة إلى الاستمرارية الدلالية في عالم النَّص ، حيث كانت جملة الحال بما فيها من رابط مبيّنةً لهيئة صاحبها ، ومرتبطةً به عن طريق هذا الرَّابط اللغوي الواضح في ظاهر النَّص على الرغم من استتاره ، فالفعل (يبكي) يدلُّ عليه بهيئته ، وهو ما يسهم في حَبْك البيت ؛ ومن ثَمَّ النَّص .

والملاحظ أنَّ هذه الجملة الحالية قد خلت من الرَّبْط بالواو ، إذ إنَّ مجيء جملة الحال مضارعيةً مثبتةً غير مسبوقة بقد يعدُّ من المواضع التي يُمتنع فيها الرَّبْط بالواو ، بل تُربط بالضمير وحده ؛ وذلك لأنَّ المضارع على وزن اسم الفاعل لفظا ، وبتقديره معنى ، فجاءني زيدٌ يركب ، بمعنى جاءني زيدٌ راكبا ، ولا سيّما وهو يصلح للحال وصفًا ، وبين الحالين تناسبٌ ، وإنْ كانا في الحقيقة مختلفين . . . وقد سُمع : قمت وأصكُّ عينه ، وذلك إمّا لأنَّها جَملةٌ ، وإنْ شابهت المفرد ، وإمّا لأنَّها بتقدير : وأنا أصكُّ ، فتكون اسميةً تقديرًا»[٤١] . وقد لوحظ أيضًا أنَّ هذه الجملة الواقعة حالاً قد خلت من حرف الاستقبال ، نحو السين ولن ، وغيرهما ؛ وذلك «لتناقُض الحال والاستقبال في الظاهر»[٤٢] .

(ب) الفعلية ذات المضارع المنفى :

لمّا كان الرَّبْط بالضمير قد جاء في الجملة الفعلية الحالية ذات الفعل المضارع المثبت في الكافوريات في ثمانية وثلاثين موضعًا ، فانَّ الرَّبْط بالضمير في المضارعية المنفية لم يأت إلاّ في موضعين منفيين بحرف النفي (لا) ، ومثال ذلك قول المتنبي [٤٣] (من البسيط)

لاَ يَعْـرِفُ الرُّزْءَ فـي مَـال ولا وَلَـد إلاَّ إذَا حَـفَـزَ الضِّـيـفَـانَ تَرْحَـالُ

فقوله : (لاَ يَعْرِفُ الرُّزْءَ) جملةٌ فعليةٌ خبريةٌ منفيةٌ ، ذات فعل مضارع ، في محل نصب على الحالية ، وتحتمل الاستئناف ، لكنَّني أرجِّح الحالية في هذا الموضع ؛ لأنَّ الأبيات كلَّها نسيجٌ متَّصلٌ ، يدور حول مَدْح المتنبي لكافور ، حيث إنَّ فاتكا لله كان في أيام كافور مقيمًا بالفيوم (من أعمال مصر) ، وهو بلد كثير الأمراض لا يصحُّ به جسمٌ [٤٤] ، وإنَّما أقام به أنفةً من الأسود وحياءً من الناس أنْ يركب معه . . . فاستحكمت العلّة في بدَن فاتك ، وأحوجته إلى دخول مصر ، فدخلها ، ولم يمكِّن أبا الطيب أنْ يعوده ، وفاتك يسأل عنه ويراسله بالسلام ، ثُمَّ التقيا في الصحراء ، فحمل إلى منزله للوقت هديةً ، قيمتها ألف دينار ذهبًا ، ثم أتبعها هدايا بعدها» [٤٥] . وبناء على هذا فإنَّ أول ذكر جرى لفاتك كان في البيت الثامن ، مشكِّلاً بذلك عنصرًا إشاريًا أو مرتكزًا ضوئيًا ، يشكِّل مرجعًا للضمائر ، التي تنحبك بها القصيدة حتى نهايتها [٤٦] ، وذلك إذ يقول :

غَـيْثٌ يُبَـيِّـنُ لِلنُّظَّارِ مَـوقِـعُـهُ أنَّ الغُـيُـوثَ بِمَـا تَأتِيـهِ جُـهَّـالُ

أي أنَّ «فـاتكًا غيثٌ ، يُولى بإنعامه مَنْ هو أهله ، فإذا نظر الناس علموا أنَّ الغيوث جاهلةٌ بما تفعله من سَقْي المكان السَّبخ والطيِّب ، فموقع نعَمه يبيِّن هذا المعنى» [٤٧] . وقد جرى الحَديث عن (فاتك) فيما بعد باستخدام الضمائر ، مُشكِّلة عناصر إحالية ، وذلك إلى أنْ يصل إلى البيت العشرين الذي معنا ، مشيرًا إلى أنَّ فاتكا : «لا يغتمُّ لشيءٍ أصابه في ماله وولده ، وإنَّما يحزن عندما يتأهّب الضيف

للرحيل»[٤٨] . وفيه يُرَجَّح لدينا أنَّ جملة (لا يَعْرِفُ الرُّزْء) حالٌ من الضمير المحذوف جوازًا ؛ لدلالة السياق عليه في قوله : (غيثٌ) ، إذ إنَّ التقدير : هو غيثٌ ، والرَّابط أيضا في جملة الحال بصاحبها الضمير المستتر (هو) في الفعل (يعرف) ، وهو ما ترتب عليه الإسهام في الترابط النَّصيّ بين أبيات القصيدة ، وهو ما يمكن القول معه إنَّ عنصر الإحالة ، يسهم بدورٍ فعّالٍ في ترابط النَّص وتماسكه ، أو في سَبْكه وحَبْكه .

والملاحظ أنَّ هذه الجملة قد امتنع فيها الرَّبْط بالواو مع الضمير ؛ لأنَّ النحاة يرون أنَّ المضارع المنفي بالحرف (لا) بمنزلة اسم الفاعل المخفوض بإضافة غير ، فيجرى مجراه في الاستغناء عن الواو ، بمشابهته إيّاه وزنًا ومعنىً ، فكما لا تدخل الواو على اسم الفاعل فكذلك ما أشبه[٤٩] ، نحو قوله تعالى : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾[٥٠] فجملة (لا يبصرون) جملةٌ فعليةٌ ذات مضارعٍ منفيٍّ ، في محل نصبٍ على الحال من الضمير (هم) في (تركَهم) ، أي تركَهم في ظلماتٍ غير مبصرين .

ثانياً - الرَّبْط في الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي المثبت:

وقع الخلاف بين النحاة البصريين والكوفيين حول وقوع الماضي المثبت حالاً ، حيث إنَّ البصريين يرون أنَّه لا يقع حالاً ، مسبوقًا بقد أو غير مسبوق بها[٥١] ، وهو ما يؤيِّده الواقع اللغوي في شعر المتنبي وخاصة كافورياته ، يقول أبو حيّان : «ولا يحتاج إلى إضمار قد ؛ لأنَّه كَثُر وقوع الماضي حالاً في لسان العرب بغير قد ، فساغ القياس عليه»[٥٢] . وهذا رأيٌ له وجَاهَته على حدِّ قول أحد الباحثين في قوله صدد البحث في القرآن الكريم : «فما معنى القول : وقد مقدرة ؟ هل ذلك التقدير عند القارئ للقرآن الكريم أم عند منشئه ، وهو الله تعالى ؟ وإنَّ القول بالأول - التقدير عند قارئ القرآن - لا داعي لإلزامه بذلك ؛ لأنَّ دلالة الماضي على الحال واضحةٌ لديه بدون هذا الإلزام ، والقول بالثاني لا يستطيع مؤمنٌ أنْ يقول به»[٥٣] . وقد جاء

الرَّبْط بالضمير في الجملة الفعلية ذات الماضي المثبت مُصدَّرةً بقد أو غير مُصدَّرة بها في ثمانية مواضع ، فمثال الماضية المثبتة بدون (قد) قول المتنبي[٥٤] :

(من البَسيط)

لِمَا يَشُقُّ عَلَى السَّادَاتِ فَعَّالُ ... لاَ يُدْرِكُ المَجْدَ إلاَّ سَيِّدٌ فَطِنٌ

وَلاَ كَسُوبٌ بِغَيْرِ السَّيْفِ سَآلُ ... لاَ وَارِثٌ جَهِلَتْ يُمْنَاهُ مَاوَهَبَتْ

إنَّ الزَّمَانَ عَلَى الإمْسَاكِ عَذَّالُ ... قَالَ الزَّمَانُ لَهُ قَوْلاً فَأَفْهَمَهُ

أَنَّ الشَّقِيَّ بِهَا خَيْلٌ وَأَبْطَالُ ... تَدْرِي القَنَاةُ إذَا اهتَزَّت بِرَاحَتِهِ

كَالشَّمْسِ قُلْتُ ، وَمَا لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ ... كَفَاتِكٍ وَدُخُولُ الكَافِ مَنْقَصَةٌ

بِمِثْلِهَا مِنْ عِدَاهُ وَهْيَ أَشْبَالُ ... القَائِدُ الأُسْدَ غَذَّاهَا بَرَاثِنُهُ

فهذه الأبيات في مَدْح فاتك - وقد ذكَرتُ ذلك فيما مضى - وفي البيت الأخير منها يرى المتنبي أنَّ فاتكا «يقود غلمانًا ربَّاهم بأسلاب أعدائه ، حتى صاروا كالأسُود . وقوله : بمثلها ، أي غذَّتهم براثنه : أي سيوفه بأسلاب أسُود أمثالهم من أعدائهم ، وهذه الأسود أشباله»[٥٥] ، وفي هذا البيت نلاحظ أنَّ جملة (غذَّتها براثنه) في محل نصب على الحال من (الأُسْد) ، مشيرةً إلى أنَّ فاتكًا يقود غلمانًا كالأسُود حالة كون سُيوفه مغذِّيةً للأسود بأسلاب أسُود مثلهم من أعدائهم ، والرَّابط في هذه الجملة مذكورٌ في البنية السطحية للجمْلة ، وهو هاء الغائب للمؤنث ، العائدة على (الأُسْد) ، رابطًا جملة الحال بصاحبها ، وهو ما أدى إلى صحّة البيت ؛ ومن ثَمَّ النَّص على مستوى الاستعمال الأصولي[٥٦] ، فَحَسُنَ السَّبْك في ظاهر النَّص ؛ ومن ثَمَّ الاستمرارية الدلالية (الحَبْك) ، ولا شك في ذلك ؛ لأنَّ «إحداث العلاقات المتنوعة هو السمة المميِّزة لعملية التركيب الشِّعْريّ ، التي ينشغل فيها الشَّاعر ، وهو يشكِّل المعني في القصيدة»[٥٧] .

والجدير بالملاحظة أنَّ هذا الرَّابط - بالإضافة إلى غايته الدلالية في الرَّبْط بين الحال وصاحبها - قد أسهم في توافُق النظام النَّحويّ مع النَّسْج الشِّعْريّ ؛

ومن ثَمَّ الإسهام في تحقُّق السَّبْك والحَبْك ، فالبيت كما عرفنا من بحر البسيط ، وتقطيعه هكذا :

القائدُلْ/ أسْدَ غَذْ/ ذَتْهَابَرا/ ثنهو بمثلها/ منْ عِدَا/ هو وَهْيَ أَشْـ/ بَالُو

مستفعلن فاعلن مستفعلن فَعِلُن مُتَفْعلن فاعلن مستفعلن فَعْلُن

ومن خلال هذا التقطيع والوزن ندرك مدى إسهام الضمير في استقامة وزن البسيط ، حيث إنَّ عدم وجوده أو تكرار الظاهر (الأُسْد) يؤدي إلى انكسار الوزن ، وهو ما يمكن معه القول إنَّ الشَّاعر قد استطاع عن طريق حُسْن السَّبْك والحَبْك بمفهومهما الموضَّح آنفا ووجود الرَّبْط أنْ يستخرج من هذا الوزن (وزن البسيط) الثابت في هذه القصيدة أنغامًا وجملاً موسيقيةً مختلفةً ، تشاكل الموقف النفسي المسيطر عليه في هذه القصيدة ، ومن بينها البيت موضع التحليل [٥٨] .

نأتي إلى التمثيل بالماضي المسبوق بقد ، فنمثِّل له بقول المتنبي [٥٩] : (من الطويل)

كَتَائِبَ مَا انْفَكَّتْ تَجُوسُ عَمَائِرًا مِنَ الأَرضِ قَدْ جَاسَتْ إِلَيْهَا فَيَافِيَا

وذلك في أول قصيدة مَدَح فيها كافوراً ، معرِّضًا بسيف الدولة ، والتي تبدأ بقوله :

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى المَوْتَ شَافِيَا وَحَسْبُ المَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا

وفي هذا البيت موضع التمثيل يشير إلى أنَّ كتائب كافور «لا تزال تدوس قبائل من أعدائه ، قد سرت إليها من بُعْد ، وقطعت فيافي من الأرض . يعني أنَّه يقصد الأعداء في ديارهم» [٦٠] ، وفيه نلاحظ أنَّ جملة (قد جَاسَت إليها) جملةٌ فعليةٌ مثبتةٌ ذات فعل ماض مصدَّر بقد ، التي قرَّبت الماضي من الحال ، بالإضافة إلى إفادة تحقُّق هذه الحالِ وتأكيدها [٦١] وأنَّ الضمير في كلمة (إليها) يعود على (عمائرًا) .

وتتضح دلالة الجملة على الحال من شَرْح أبي العلاء وما تقدم من تعليق ، أي أنَّ هذه الكتائب ، وهي تدوس قبائل أعداء كافور ، تقطع المفاوز والفلوات إلى هذه القبائل . وقد ترابطت هذه الجملة مع صاحبها الضمير المُسْتكنِّ في الفعل (تجُوس)

عن طريق الضمير في الفعل جاست المطابق لصاحب الحال ، والعائد على كلمة (كتائب) ، إذ إنَّ التقدير : قد جاست هي ؛ ومن ثَمَّ كان الاطراد والاستمرارية في النَّص ، بناء على أن هذا البيت جزءٌ من القصيدة كلِّها .

ثالثاً - الرَّبْط في الجملة الاسمية :

وردت الجملة الاسمية مجردةً ومنسوخةً بناسخٍ حرفيٍّ أو فعليٍّ في كافوريات المتنبي حاليّةً ، ومربوطةً بالضمير في أحد عشر موضعًا ، وكان الرَّابط الضمائر (تاء الفاعل ، هي ، كاف المخاطب ، هاء الغائب للمؤنث ، ألف الاثنين) ، ومثال الرَّبْط في المجردة من الناسخ قوله[٦٢] : (من الطويل)

وَمَا كُنْتُ لَوْلا أَنْتَ إلاَّ مُهَاجِرًا ... لَهُ كُلَّ يَوْمٍ بَلْدَةٌ وَصِحَابُ

وَلَكِنَّكَ الدُّنْيَا إِلَيَّ حَبِيبَةٌ ... فَمَا عَنْكَ لِي إلاَّ إِلَيْكَ ذِهَابُ

فهذان البيتان من قصيدته التي أشار أبو العلاء في مقدِّمتها إلى أنَّها آخر ما أنشده في كافور ، ولم يلقه بعدها ، وفيها يمدحه مفتخرًا بنفسه ذاكرًا الشيب مستنجزًا وعْد كافور ، وفيها يقول أبو العلاء : « لولا أنت وحُبِّي قربك ما كنت بمصر ، بل كنت كل يوم في بلد ، ومعي أصحاب . . . إنَّما أقمت عندك ؛ لأنَّك دُنياي ، فلا منصرف لي عندك ، إذ الدنيا حبيبةٌ إلى كلِّ أحد ، فأنت محبوبٌ إليَّ ، فليس لي ذهابٌ إلا إليك . و(حبيبةٌ) خبر ابتداء محذوف ، أيْ هي حبيبةٌ إليّ »[٦٣] .

وممّا لاشك فيه أنَّ البيت الثاني منهما يشتمل على جملة اسمية حالية مجردة من الناسخ ، مبتدؤها محذوفٌ جوازًا ، والتقدير : هي حبيبة إليَّ ، وصاحب الحال كلمة (الدُّنيا) ، فهي تبيِّن حالة الدنيا المتمثلة في كافور بالنسبة للمتنبي ، إذ هي حبيبةٌ إلى قلب المتنبي ، وهذا الضمير المحذوف هو الرَّابط بين جملة الحال وصاحبها فيما قبلها .

والجدير بالذِّكر أنَّ حَذْف الرَّابط لفظًا لا تقديرًا ، ولا سيّما إذا كان ضميرًا كما في الشاهد الذي معنا ، قد أسهم في توافُق النظام النَّحويّ مع النَّسْج الشِّعْريّ

بجانب الغاية الدلالية المرتبطة به ، وهي إعمال ذهن المتلقي في المحذوف ، مشاركًا المبدع في تشكيل المعنى ، فإذا به يجد أنَّ الضمير المحذوف تقديره : هي حبيبةٌ ، فانظر كيف لجأ المتنبي إلى حَذْف الرَّابط في البنية السطحية للتركيب ، فتحقق السَّبْك عبر إتاحة النظام النَّحويّ لهذا الحذف ، ولم يلجأ إلى تكرار كلمة (الدنيا) ؛ اعتماداً على أنَّ الرَّبْط بهذا الضمير سيكون بمثابة عنصر إحاليٍّ ، يحيل إلى العنصر الإشاري (الدُّنيا) فتتحقق العلاقة الدلالية بينهما (الرَّبْطَ) ؛ ومن ثَمَّ الحَبْك ، وهو ما يمكن القول معه : إنَّ حَذْف الرَّابط هنا في ظاهر النَّص يُعدُّ من عناصر التفكير الفني المتجلية في هذا النَّص ، يقول أحد المحدثين : «إن عناصر التفكير الفني تتجلى دائمًا في الحياة العملية في لغة الكلام وفي العمل . . . إلخ ، ولكن القدرة الخارقة على الملاحظة وقوة العاطفة وغنى التداعيات وتنوعها ، والنشوء المستمر للصور والتعميمات المجسمة في الوعي وتراكمها المتواصل فيه ، كلُّ ذلك هو من خصائص الإنسان المبدع ، التي تتجلى في النَّص»[٦٤] .

نأتي إلى الرَّبْط في الجملة الاسمية الحالية ذات الناسخ ، فنمثِّل لها بقول المتنبي[٦٥] : (من السريع)

العَبْدُ لا تَفْضُل أَخْلاقُهُ ... عَنْ فَرْجِهِ المُنْتِنِ أَوْ ضِرْسِهِ

لا يُنْجِزُ المِيعَادَ في يَومِهِ ... وَلا يَعِي مَا قَالَ في أَمْسِهِ

وَإِنَّمَا تَحْتَالُ في جَذْبِهِ ... كَأَنَّكَ المَلاَّحُ في قَلْسِهِ

فهذه الأبيات من قصيدة ، يهجو فيها كافوراً مشيراً إلى «أنَّ العبد ليس له همّةٌ إلاّ في الأكل والجماع ، ولا يتجاوز همُّه إلى مكرُمة ، فكيف يرجى ؟ ! وإذا وعد وعداً لم ينجزه ، وإذا صار إلى يوم آخر ، نَسي وعْدَه بالأمس لجَهْله ، فَمَنْ هذا حاله فكيف يُرْجى نواله ؟ ! وإذا وعد شيئًا تحتاج إلى الاحتيال في جَذْبه إلى ذلك الموعود ، فإنْ أغفلت جرَّه تأخّر ، كما أنَّ الملاّح يَحتاج إلى جرِّ السفينة في النهر مُصْعِداً لها ، فإنْ ألقى الحبل من يده ، انجرَّت مع الماء»[٦٦] .

وفي البيت الأخير من هذه الأبيات نلاحظ أنَّ قوله : (كَأَنَّكَ المَلاَّحُ فِي قَلْسِه) جملةٌ اسميةٌ خبريةٌ منسوخةٌ بناسخ حرفيٍّ (كأنَّ) ، قد وقعت حالاً ، وصَاحبها الضمير المُسْتكنُّ وجوبا في الفعل (تحتال) ، وتقديره : تحتال أنت ، وقد ربط ضمير المخاطب في كَأَنَّك بين جملة الحال والجملة المكتنفة لصاحبها ، مطابقًا إيَّاه ، مُسْهِمًا في استقامة وزن السريع . والجدير بالملاحظة أنَّ الشَّاعر كان بإمكانه أنْ يقول : وكَأَنَّك الملاح في قَلْسه ، لكن الإتيان بالواو يؤدي إلى انكسار الوزن ؛ ومن ثَمَّ كان الرَّبْط بالضمير مُسْهِمًا في حُسْن السَّبْك والحَبْك ، فكان له روعته في موضعه ، محقِّقًا الاطراد في ظاهر النَّص ، والاستمرارية الدلالية في عالم النَّص أيضًا . وقبل أنْ نبرح الحديث هنا إلى تناوُل الرَّبْط بالضمير في جملة الصفة أودُّ الإشارة إلى أنَّه لمّا كان الرَّبْط في الجملة الاسمية يجوز بالضمير وحده ، أو بالواو وحدها ، أو اجتماعهما[٦٧] ، فإنَّ رَبْطهما بالضمير فقط يكون على ضعف ، وهو ما سيتضح لنا إذا قارنا مواضعها هنا بمواضعها حين الحديث عن ربطها بالواوِ ، وبالواو والضمير معا فيما بعد ، وذلك على الرغم من أنَّ الرَّضيّ يرى أنَّ اجتماع الواو والضمير في الاسمية ورَبْطهما بالضمير فقط متقاربان في الكثرة ، لكنه يرى أنَّ اجتماعهما أولى احتياطًا في الرَّبْط[٦٨] .

المطلب الثاني - الرَّبْط بالضمير في جملة الصفة :

للصفة أو النعت أغراضٌ كثيرةٌ ، توقف النحاة أمامها ، وموصوفها إمّا أنْ يكون نكرة أو معرفة ، فصفة المعرفة للبيان والتوضيح ، وصفة النكرة للتخصيص ، وهو إخراج الاسم من نوعٍ أخصُّ منه ، فهي ترفع وتزيل الاشتراك اللفظي في المعارف ، وتقلِّل الاشتراك المعنوي في النكرات ، فهي في الأول جارية مجرى بيان المجمل ، وفي الثاني جارية مجرى تقييد المطلق[٦٩] .

ولمّا كانت الصفة تكون مفردةً ، أي صريحة وتكون بالجملة الاسمية أو الفعلية ، وتكون بشبة الجملة ، وهو ما يُطلق عليه الصفة غير الصريحة ، فإنَّ النحاة قد اشترطوا في جملة الصفة أنْ تكون خبريةً مشتملةً على ضمير يربطها بالموصوف

؛ لأنَّ الصفة كالخبر ، فكما لابدَّ من عائد إلى المبتدأ إذا وقعت الجملة خبرًا ، فكذلك لابدَّ منه في الجملة إذا وقعت صفةً ، ويشترط في الضمير أنْ يطابق المنعوت في التنكير والتأنيث وغيره ، وقد يكون مذكورًا ، بارزًا أو مستترًا ، وقد يُحْذف إذا عُرف من خلال السياق ، وحَذْفُه هنا كثيرٌ ، وفي الصلة أكثر ، وفي الخبر قليل[٧٠] .

ونتيجةً لاستقراء الكافوريات فقد جاء ربْط جملة الصفة بموصوفها باستخدام الضمائر (هو ، هي ، هم ، هاء الغائب للمذكّر والمؤنَّث ، واو الجماعة ، نون النسوة) ، وهذا الرَّبْط كان في الجملة الفعلية ذات المضارع المثبت والمنفي ، المبني للمعلوم والمجهول ، حيث ورد ذلك في أربعة وستين موضعًا[٧١] ، كما ورد الرَّبْط في الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي المثبت فقطّ في ثلاثين موضعًا[٧٢] .

أمّا الرَّبْط في الجملة الاسمية المجردة والمنسوخة ، فقد ورد في أربعة وعشرين موضعًا[٧٣] ، منها ستة مواضع كانت الجملة الاسمية فيها منسوخةً بناسخٍ حرفيٍّ أو فعليٍّ ، وبقية المواضع كانت اسميةً مجردةً من الناسخ الفعليّ أو الحرفيّ ، وبذلك يكون الرَّبْط في النعت بالجملة في الكافوريات قد جاء في مائة وثمانية عشر موضعًا ، وهذا قليلٌ إذا ما قورن بالسيفيّات على سبيل المثال ، إذ إنَّ الرَّبْط في النعت بالجملة قد ورد بها في مائتين واثنين وأربعين موضعًا[٧٤] ، وذلك راجعٌ بالتأكيد إلى كثرة شعر السيفيّات إذا ما قورن بالكافوريات ، وفيما يلي تمثيلٌ لهذا الرَّبْط في أنماط الجملة المختلفة مع تلمُّس دوره في السَّبْك والحَبْك .

أولاً - الرَّبْط في الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع :

(أ) في الفعلية ذات المضارع المثبت :

وقعت الجملة الفعلية ذات المضارع المثبت نعتًا مربوطةً بالمنعوت بالضمير فتي الكافوريات في ستين موضعًا باستخدام الضمائر (هو ، هي ، هاء الغائب للمذكر وللمؤنث ، ونون النسوة) ، وذلك نحو قوله[٧٥] : (من الطويل)

يُخَلِّفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ دَارَكَ غَايَةً ... وَيَأْتِي فَيَدْرِي أَنَّ ذَلِكَ جُهْدُهُ

فَـإِنْ نِلْتُ مَـا أَمَّلْتُ مِنْكَ فَـرُبَّمَـا شَـرِبتُ بِمَـاءٍ يُعْـجِـزُ الطَّيْـرَ وِرْدُهُ

فهذان البيتان من قصيدة له ، يمدح فيها كافوراً ، ويستنجز وعْدَه قائلا : إنَّ «مَن قصد غيرك من الملوك ، فقد خلّف وراءه غايةً ، وإذا قصدك ، فقد بلغ غاية جهده وطاقته ، فإنَّه ليس وراءك غايةٌ يُطْلب الوصول إليها . . . . إنِّي بعيد الهمّة ، شريف المطلب ، لا أطلب إلا غايةً بعيدةً ؛ فلهذا قصدتك ، وقاسيت الأَخطار دونك ، وليس هذا بمنكر منِّي ، فإنِّي ربَّما وصلت إلى ما لا يقدر الطير على الوصول إليه ، يعني : وصلت إلىً مطالب يعجز عنها غيري»[٧٦] . وفي البيت الثاني منهما نلاحظ أنَّ جملة (يُعْجِزُ الطَّيْرَ وِرْدُهُ) في محل نصب ، على أنَّها نعتٌ لكلمة (ماء) مراعاة للمحل ، حيثَ إنَّها مفعولٌ به منصوبٌ ، وعلامة نَصْبه الفتحة المقدرة ، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجرِّ الزائد (الباء) ، ويمكن أنْ تكون جملة النعت في محل جرٍّ مراعاةً للَّفظ . وفي كلتا الحالتين نجد أنَّ الجملة خبريةٌ ، قد ترابطت مع منعوتها عن طريق ضمير الغائب للمفرد المذكر ، المطابق لمنعوته ، وذلك في كلمة (وِرْدُهُ) ، يقول سيبويه : «وإذا كان الفعل في موضع الصفة . . . وذلك قولك : أزيدٌ أنت رجلٌ تضربه ، وأكُلَّ يوم ثوبٌ تلبسه . فإذا كان وصفًا ، فأحسنه أنْ يكون فيه الهاء ؛ لأنَّه ليس بموضع إعمال ، ولكنه يجوز فيه كما جاز في الوصل ؛ لأنَّه في موضع ما يكون من الاسم»[٧٧] .

وقد يعدُّ من الفضل هنا أنْ أشير إلى أنَّ كلمة (ماء) نكرةٌ والنعت جملة ، وذلك لمناسبة الجملة بالنكرة - على الرغم من أنَّ الجملة لا معرفة ولا نكرة من جهة أنَّ التعريف والتنكير من عوارض الذات - من حيث يصحُّ تأويلها بالنكرة ، كما تقول في (قام رجل ذهب أبوه) أو (أبوه ذاهب) : قام رجل ذاهب أبوه ، وكذا تقول في (مررت برجل أبوه زيد) إنَّه بمعنى كائنٌ أبوه زيداً[٧٨] .

ومن المفيد أيضا الإشارة إلى أنَّ هذا الضمير قد أسهم في حُسْن السَّبْك والحَبْك ، فلم يتكرر الاسم الظاهر (الماء) ، بل ورد مُستبدلاً به الضمير ، رابطًا في ظاهر النَّص ، مُسْهِمًا في تحقُّق وصْف هذا الماء ، الذي يرى المتنبي من خلاله أنَّه ربَّما

وصل إلى ما لا يقدر غيره على الوصول إليه ، فكان بمثابة حلقة اتصال بين المفهومين ، مفهوم الماء ومفهوم جملة الصفة ، فكان الرَّبْط وسيلةً ، تحققت بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النَّص (السَّبْك) ؛ ومن ثَمَّ الاستمرارية الدلالية في عالم النَّص (الحَبْك) ، ففي «هذا التلاحم يتحقق الاعتماد المتبادل بين المعيارين على نحو تتجلى به الحَبْكة المضمونية في بنيه ظاهر النَّص ، كما يُعين ظاهر النَّص على تحقيق الحَبْكة المضمونية ، وبكليهما تتحقق استمرارية النَّص صياغةً ومضمونًا»[٧٩] .

هذا بالإضافة إلى أنَّ الرَّابط هنا قد أسهم في تآزُر النظام النَّحويّ مع النَّسْج الشِّعْريّ ، فاستقام الوزن ، وصحَّت القافية ، أمّا عن إسهامه في الوزن ، فقد أدى إلى استقامة التفعيلة الأخيرة ، التي تمثِّل الضرب (مفاعلن) المقبوضة ، وأمَّا عن إسهامه في صحّة القافية ، فالقصيدة داليةٌ ، رَويُّها مطلقٌ ذو حركة مشبعة ، نتج عنها هاءٌ متحرِّكةٌ ، فكانت وصْلاً ، وهو ما جرى عليه الشَّاعر في هذه القصيدة ؛ ومن ثَمَّ كانت الهاء في (ورْدُهُ) رابطةً للجملة بالمنعوت ، ومُسْهِمةً في تحقُّق الوزن وصحّة القافية ، وهما من أمارات حُسْن السَّبْك والحَبْك .

(ب) في الفعلية ذات المضارع المنفي :

جاءت الجملة الفعلية ذات المضارع المنفى في كافوريات المتنبي في أربعة مواضع ، كان الرَّبْط فيها باستخدام الضمائر (هي ، هو ، ضمير الغائب للمذكر) وكان النفي فيها باستخدام لم ، و (لا) ، نحو قوله[٨٠] : (من الوافر)

أَبِنْتَ الدَّهْرِ عِنْدي كُلُّ بِنْتٍ ... فَكَيْفَ وَصَلْتِ أَنْتِ منَ الزِّحَامِ ؟!

جَرَحْتِ مُجَرَّحًا لَمْ يَبْقَ فِيهِ ... مكَانٌ لِلسُّيُوفِ وَلا السِّهَامِ

وقد ورد البيتان صدد وصْفه للحمّى ، وهجائه كافورًا ، قائلاً : «يا بنت الدهر ، كيف وصلت إليَّ مع ازدحام حوادث الدهر عليَّ وتراكم الدواهي ؟ ! . جَرَحْتِ منّي بدنًا مجرَّحًا ، قد عمّته الجراحات ، فليس فيه موضعٌ صحيحٌ ، تجرحه السيوف والسهام»[٨١] . وفي البيت الثاني منهما نلاحظ أنَّ جملة (لَمْ يَبْقَ فِيهِ

مكَانٌ للسُّيُوف) جملةٌ فعليةٌ ذات مضارع منفيٍّ بلم ، جاءت نعتًا للمفعول به (مُجَرَّحًا) ، وقدَ رُبطَت بمنعوتها بضمير الغائب للمذكر في كلمة (فيه) المطابق لمرْجعه ، فكان الضمير بمثابة عنصر إحاليٍّ على العنصر الإشاريّ (مُجَرَّحًا) ، رابطًا بين (المُجرَّح) ومفهوم الجملة التي عيّنته عن طريق وصْفه ، فكان بمثابة حلقة الاتصال ؛ ومن ثَمَّ كان ذا فاعلية في ظاهر النَّص وفي عالمه في آنٍ واحد ، مُسْهِمًا في توافُق النظام النَّحويّ مع النَّسْج الشِّعْريّ .

ثانيا - الرَّبْط في الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي :

وردت الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي نعتًا - كما سبق من خلال الإحصاء في ثلاثين موضعًا ، وكان الماضي مثبتًا فقط ، وكان الرَّبْط فيها باستخدام الضمائر (هي ، هو ، هاء الغائب للمذكر والمؤنث ، واو الجماعة ، نون النسوة) وذلك نحو قوله[٨٢] : (من الوافر)

يَقُولُ لِيَ الطَّبِيبُ : أَكَلْتَ شَيْئًا ... وَدَاؤُكَ فِي شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ

وَمَا فِي طِبِّهِ أَنِّي جَوَادٌ ... أَضَرَّ بِجِسْمِهِ طُولُ الجَمَامِ

وهذان البيتان من القصيدة نفسها ، المشار إليها أنفًا ، والتي يصف فيها الحمّى ويهجو كافورًا ، قائلا : «إذا رآني الطبيب متغير الحال ، قال : قد أكلت شيئًا ضرَّك ، فاحْتَمِ ، فإنَّ ذلك من الطعام والشراب ، إنَّ الطبيب لا يعلم أنَّ مَرَضي من طول مُقامي بمصر ، وتَرْكي ما هو عادتي من السفر ، كما أنَّ الفرس إذا تعوَّد السير عليه ، وتحمّل الكد والنَّصب ، ثم طال مقامه على الجَمَام ، أضرَّ به ذلك»[٨٣] .

وفي البيت الثاني منهما نلاحظ أنَّ جملة (أضَرَّ بجسْمه طُولُ الجَمَام) جملةٌ فعليةٌ خبريةٌ مثبتةٌ ، جاءت نعتًا لخبر أنَّ (جَوادٌ) ، ونظرًا لكَوْنَ الصفة مثل الخبر في احتياجها إلى رابط ، يربطها بالموصوف ، فقد كان الرَّبْط في هذه الجملة بضمير الغائب للمذكر ، الواقع مضافًا إليه في كلمة (بجسمه) والمطابق لمنعوته في الإفراد والتذكير ؛ ومن ثَمَّ أُحْكِمت العلاقة بين المنعوت (جواد) وبين وصْفه بالجملة

الفعلية ، فتعلّقت كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره ، وهو ما يمكن معه القول بأنّه على حد قول الجاحظ آنفا - أُفْرِغ إفراغًا جيّدًا أو سُبِك سبكًا واحدًا ، فهو يجري على اللسان كما يجري على الدهان .

ومن الواضح أنّه كان بإمكانه أنْ يقول : أنّي جوادٌ أضرَّ بجسم الجواد طول الجَمَام ، مكرِّرًا الظاهر ، وعلى الرغم من أنَّ تكرار الظاهر له أغراضٌ دلالية ، ترتبط بالسياق ، فإنَّ الشّاعر يريد أنْ يكون بيته حسن السَّبْك والحَبْك ، فآثر الإيجاز بإحلاله الضمير محل الظاهر (٨٤) ، رابطًا بين النعت ومنعوته . هذا بالإضافة «إلى أن المتنبي في لغته اعتمد كثيرًا على الإيحاء ؛ وذلك لأنَّ موضوع كلامه كان يشغل حيّزًا كبيرًا في ذهنه ؛ ومن هنا كان يستغنى عن تكرار اللفظ المعبِّر عن موضوع الحديث ويعبِّر عنه بالضمير» (٨٥) ؛ ومن ثَمَّ أسهم أيضًا في توافُق النِّظام النَّحويّ مع النَّسْج الشِّعْريّ ، فالبيت كما نعرف من الوافر ، وتقطيعه هكذا :

وما في طِبْ / بهى أنّي / جوادن أضَرَّ بجسْ / مِهى طولُلْ / جَمَامي

مفاعيلن مفاعيلن فعولن مُفَاعلتن مفاعيلن فعولن

فلو كرَّر الظاهر ، لَما استقام الوزن ، ولَما صحّت القافية ، وهو ما يؤكد أنَّ الضمير كان ذا فاعلية في ظاهر النَّص وفي عالمه .

وبعد هذا العرض أشير إلى أنَّ الرَّبْط بالضمير في الجملة الفعلية ذات المضارع - وبخاصة المثبت منه - قد جاء أكثر منه في الفعلية ذات الماضي ، وهذا يرجع إلى نكتة دلاليّة في الفعل المضارع ، مرتبطة بحُسْن السَّبْك والحَبْك ، لا يستطيع الفعل الماضي الوفاء بها في السياقات التي وردت فيها جملة النعت - وهو ما ينسحب على التعبير بالجملة ذات الرَّبْط بالضمير في الكافوريات ، سواءٌ أكانت حالاً أم نعتًا أم صلةً لموصول أم خبرًا - المكتنفة للرابط العائد على المنعوت ، فعلى سبيل المثال يقول المتنبي في هجائه كافورًا قبل مَسيره من مصر بيوم واحد (٨٦) : (من البسيط)

مَا كُنْتُ أَحْسَبني أَحْيَا إِلَى زَمَنٍ يُسِيءُ بِي فِيهِ كَلْبٌ وَهْوَ مَحْمُودُ

أي «ما ظننت أنّي أبقى إلى زمن ، يسيء بي في ذلك الزمان كلبٌ ، وهو محمودٌ على إساءته لي ، وأحتاج إلى مَدْحه مع ذلك»[٨٧] ، فالتعبير بالمضارع يفيد تجدُّد الإساءة زمانًا بعد زمان ، انظر إلى تعليق الزمخشري- مثلا - على قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ، فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾[٨٨] ، فقد علّل الزمخشري مجيء معنى الماضي في صيغة المضارع ، وكيف استطاعت صيغة المضارع « يصبح» أنْ تجعل عملية الاخضرار تتجدد وتجيء عبر الأزمان ، فيقول : «فإنْ قلت : هلاّ قيل : فأصبحت ، ولمَ صرف إلى لفظ المضارع ، قلت لنكتة فيه ، وهي إفادة بقاء أثر المطر زمانًا بعد زمان ، ما تقول : أنعم على فلان عام كذا ، فأروح ، وأغدو شاكرًا له ، ولو قلت فرحتّ وغدوت ، لم يقع ذلك الموقع»[٨٩] .

ثالثا - الرَّبْط في الجملة الاسمية :

جاء الرَّبْط بالضمير في الجملة الاسمية ، الواقعة نعتًا ، مجردةً ومنسوخةً بناسخ حرفيٍّ أو فعليٍّ في أربعة وعشرين موضعًا - كما مرَّ بنا - وكان الرَّبْط باستخدام الضمائر (هي ، وهاءً الغائب للمذكر وللمؤنث وهم ، ونون النسوة) ، وذلك نحو قوله[٩٠] : (من الطويل)

وَإِنِّي لَفِي بَحْرٍ مِنَ الخَيْرِ أَصْلُهُ عَطَايَاكَ أَرْجُو مَدَّهَا وهْيَ مَدُّهُ

فالشّاعر في هذا البيت يمدح كافوراً ، ويستنجز وعده شأن بقية القصيدة ، قائلاً : «أنا في بحر من الخير ، وأصل هذا البحر من عطاياك ، وأرجو مَدَّ عطاياك ، فهي مدُّ هذا البحر»[٩١] ، وفيه يُلاَحظ أنَّ جملة (أصله عطاياك) جملةٌ اسميةٌ خبريةٌ مثبتةٌ ، في محل جرٍّ على النعت لكلمة (بحر) ، وقد ترابطت هذه الجملة مع منعوتها بضمير الغائب للمذكّر في (أصله) ؛ فكان بمثابة حلقة اتصال بين العنصر الإشاريّ (بحر) ومفهوم جملة النعت ، كما أنّه أسهم في استقامة عروض الطويل (مفاعلن) ، وبناء على ذلك كلّه يمكن أنْ يُقال إنّه أسهم في تحقُّق الصحّة النّحويّة .

ومثال ذلك أيضًا في القصيدة نفسها قوله[٩٢] :

فَـلاَ يَنْحَلِلْ فِي المَجْـدِ مَـالُكَ كُلَّهُ فَـيَنْحَلَّ مَـجْـدٌ كَـانَ بِالمَالِ عَـقْـدُهُ

وفيه يُدلي بحكَمه ونصائحه ، التي ضمّنها شعره ، قائلاً : «لا تُتلف مالك كلّه في اكتساب المجَد والثناء ، فإنْ فعلت ذلك افتقرت ، وضاع المجد ، الذي كنت تطلبه ، إذ المجد لا يكون إلا مع المال»(٩٣) . ويلاحظ في هذا البيت أنَّ جملة (كَانَ بالمَال عَقْدُهُ) جملةٌ اسميةٌ خبريةٌ منسوخةٌ بالناسخ الفعليّ (كان) ، تقدَّم فيها خبر كَانَ على اسمها ، وجاءت نعتًا للفاعل (مجدٌ) في الجملة السابقة . ولمّا كان من اللازم وجود الرَّابط في جملة النعت ، لربطها بالمنعوت ، فقد كان ضمير الغائب للمذكر في اسم كَان المؤخّر إلى مكان القافية ، مُسْهِمًا في استقامة الطويل وصحّة القافية ؛ ومن ثَمَّ الصحّة النَّحويّة ، وهو ما يمكن أَنْ ينسحب على بقية الضمائر الرَّابطة في الكافورياتَ .

وزيادةً في الإيضاح نشير إلى أنَّ هذه الصحّة النَّحويّة مبنيةٌ على ربْط الضمير بين المفهوم الأول ، أعني مفهوم كلمة (مَجْد) وبين مفهوم جملة النعت ، التي عيّنت مفهوم كلمة (مَجْد) عن طريق الوصف بأنَّه مجدٌ ، قد تحقّقت كينونته مع وجود المال ، فكان السَّبْك في ظاهر النَّص والحَبْك في عالمه ؛ أي أنَّ الاستمرارية في ظاهر النَّص قد تحقَّقت ؛ ومن ثَمَّ الاستمرارية الدلالية المتحقِّقة في حلقة الاتصال التي يشكِّلها الضمير الرَّابط بين المفاهيم داخل النَّص . وقبل أنْ أترك هذا الحديث أرى أنَّه قد يكون من المفيد الإشارة إلى أنَّه من خلال تتبُّع الرَّبْط بالضمير في جملة النعت ؛ ومن ثَمَّ النعت كافة ، لوحظ أنَّ ثمة ألفاظًا في الكافوريات لا يستخدم معها المتنبي النعت إلا في مواضع قليلة ، نحو (الناس ، القلب ، المجد ، السيف ، الخيل ، السهام ، المال ، العبد) ، حيث ترد هذه الألفاظ معرّفةً بأل ، تشير إلى أشياءَ واضحة لدى الشَّاعر ؛ ومن ثَمَّ المتلقي ، أمّا ما يحتاج إلى توضيح ولاسيّما النكرات ، فإنَّه يُتْبعها بالجملة الموضحة ، المرتبطة مع منعوتها بالضمير ، وهذا ديدنه في بقية شعره ، ففي السيفيات أيضا نجد «جمل النعت ترتبط بالنكرات ، فالشَّاعر استعمل النعت مع النكرات أكثر مما استعمله مع المعارف ، وحين نلحظ أنَّ كثيرًا من الأسماء

المعرفة المرتبطة بالنعت إنَّما ورد في القوافي ، نتبين أنَّ النكرات المرتبطة بالنعت ترد بنسبة ملحوظة في داخل الأبيات .

ومن خلال التنكير يقدِّم الشَّاعر الأشياء غريبةً مبهمةً ، يحوطها الغموض ، ثم يشرع ثانية في تقديمها من خلال النعت ، الذي يصبغها بصبغة خاصة . ولعلّ كثرة النعوت مع النكرات تحمل شيئًا من التوضيح لقلّة استعمالَ المتنبيّ للنعوت في الألفاظ التي تتكرر كثيراً في السيفيات ، مثل : السيف ، والقنا ، والخيل ، والعين ، والقلب ، والناس ، والزمان ، والدهر ، والموت . فهذه الألفاظ في الغالب متسمةٌ بالتعريف «بأل» وصيغة التعريف «بأل» تحمل الإشارة إلى وضوح الأشياء ، وأنَّها ليست بحاجة إلى التحديد أو التمييز ، وربَّما دلَّ هذا على أنَّ هذه الألفاظ الكثيرة تشير إلى أشياءً واضحة المعالم - في ذهن الشَّاعر - ولذا فهي لا تحتاج إلى التحديد أو التمييز إلا مرات قليلة ، وفي مواقفَ خاصة»[٩٤] ، وفيما يلي عرضٌ للربط بالضمير في جملة الصلة .

المطلب الثَّالث - الرَّبْط بالضمير في جملة الصلة:

تنقسم الموصولات إلى موصولات حرفيّة ، وهي (أنْ) المصدرية ، و (أنَّ) الناسخة و(كي) و(ما) و(لو) وهي لا تحتاج إلى عائد ، وأخرى اسمية نحو الذي والتي والذين . . . إلخ ، وهي التي يُشترط في صلتها أنْ تشتمل على عائد ، يعود على الموصول ، وذلك للربط بين المفهومين ، أعني بين الموصول وصلته ، يقول المبرِّد : لله الذي لا يكون اسمًا إلا بصلة ، ولا يكون صلته إلا كلامًا مستغنيًا ، نحو الابتداء والخبر ، والفعل والفاعل ، والظَّرف مع ما فيه ، نحو في الدار زيدٌ ، ولا تكون هذه الجملة صلةً له إلا وفيها ما يرجع إليها من ذكْره ، فلو قلت : ضربني الذي أكرمت هند أباها عنده ، أو في داره ، لَصَلُح لما رددتَ إليه من ذكْره . ونظير الذي ما ، ومن ، وأي ، وأل ، التي في معنى الذين ، وكلُّ موصولٍ ممّا لمَ نذكره ، فهذا مجراه»[٩٥] . هذا وقد أشار النحاة أيضًا إلى أنَّ الموصول إنْ طابقَ لفظه معناه ، فلا إشكال في العائد ، وإنْ خالف لفْظُه معناه ، فيجوز في العائد مراعاة اللفظ ، ومراعاة المعنى ،

ومراعاة اللفظ أكثر ما لم يحدث لبس ، أمَّا إذا خيف اللَّبس ، فإنَّ مراعاة المعنى واجبٌ[٩٦] .

وقد ورد الضمير رابطًا في جملة الصلة بالاسم الموصول في كافوريات المتنبي في مائة واثنين وثمانين موضعًا ، وقد تنوعت الجملة موضع الرَّابط ، فجاءت فعليةً ذات مضارع مثبت ومنفيٍّ في ثلاثة وخمسين موضعًا[٩٧] ، وذات ماض مثبت في خمسة وستين موضعًا[٩٨] ، وجملةً اسميةً مجرَّدةً ومنسوخةً بناسخٍ فعليٍّ فقط في أربعةٍ وعشرين موضعًا[٩٩] .

ومن خلال هذا الإحصاء نلاحظ أنَّ الموصول الذي عاد عليه الرَّابط من جملة الصلة كان موصولاً اسميًا مختصًا ، انحصر في (الذي) ، و (التي) ، كما جاء موصولاً اسميًا مشتركًا - وهو ما استُعْمل بلفظ واحد للمذكر والمؤنث ، والمفرد والمثنى والجمع - انحصر في (مَنْ) و (ما) . ويُلاحَظ أيضًا أنَّ الضمير العائد في كل هذه المواضع ، قد انحصر في الضمائر (هو) ، و (هي) ، وهاء الغائب للمذكر المفرد والجمع ، وهاء الغائب للمؤنث ، و (أنت) ، وقد جاء الضمير بارزًا ومستترًا ومحذوفًا ، وفي كلٍّ هذا كانت له فاعليته في موضعه ، فظهر دوره في السَّبْك والحَبْك في الكافوريات ، وهو ما سيتضح فيما يأتي من تناول .

(أ) الرَّبْط في الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع :

وردت الجملة الفعلية ذات المضارع المثبت والمنفى في الكافوريات صلةً للموصول الاسمي ، خاصًا ومشتركًا في ثلاثة وخمسين موضعًا ، مربوطةً بالضمير ، مستترًا ومحذوفًا - وسنخص المحذوف بحديث فيما بعد - ومثال الفعلية ذات المضارع المثبت قوله[١٠٠] : (من الخفيف)

أَنْتَ أَعْلَى مَحَلَّةً أَنْ تُهَنَّا ... بِمَكَانٍ فِي الأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ

وَلَكَ النَّاسُ وَالبِلَادُ وَمَا يَسْـ ... ـرَحُ يُبْنَ الغَبْرَاءِ وَالخَضْرَاءِ

فهذان البيتان من قصيدة المتنبي ، التي قالها بمناسبة بناء كافور لدارٍ بإزاء

الجامع الأعلى على البرْكة ، وتحوُّله إليها مطالبًا أبا الطيب بذكْرها ، يقول لكافور : أنت أجلُّ قدرًا وأعلى محلاً من أن تُهَنَّأ بدار في الأرض أو في السماء ، وأنت تملك البلاد ، ومَنْ عليها وما عليها من الحيوانات[١٠١] .

والذي نلاحظه في البيت الثاني أنَّ (ما) موصولٌ اسميٌّ مشتركٌ ، صلته جملةٌ فعليةٌ خبريةٌ مثبتةٌ ، ذات فعل مضارع مبنيٍّ للمعلوم ، مشتملةٌ على رابط (الضمير المستتر في الفعل يَسْرح) ، والذي حصلَ به الرَّبْط بين الموصول وصلته ؛ ومن ثَمَّ اتضح مفهوم الموصول بالصلة ، وما بها من رابط كان بمثابة حلقة الاتصال بين المفهومين .

أمَّا عن الرَّبْط في صلة الموصول ، ذات المضارع المنفي ، فيمكن الإشارة إلى أنَّه قد جاء في تسعة مواضع ، كان النفي فيها باستخدام (لم) و (لا) مع المضارع المبنيّ للمعلوم والمبنيّ لغير الفاعل ، نحو قوله[١٠٢] : (من الطويل)

أودُّ مِنَ الأيَّامِ مَا لا تَوَدُّهُ وَأشْكُو إلَيْهَا بَيْنَنَا وَهْيَ جُنْدُهُ

فقد ورد هذا البيت في بداية إحدى قصائد المتنبي في مدح كافور واستنجاز وعْده ، قائلاً : أريد من الأيام ألاّ تفرّق بيني وبين أحبَّائي ، والأيّام لا تريد ذلك . وأشكو إليها الفراق ، وهي جُنده ، أي أنَّ الفراق هو الذي حكم بها ، فإذا شكوت إليها لم تشكني[١٠٣] .

وفي هذا البيت نلاحظ أنَّ الجملة المكتنفة للرابط جملةٌ فعليةٌ منفيةٌ ، ذات مضارع منفيٍّ بحرف النفي (لا) ، وهذا الرَّابط هو الهاء في (تودُّه) ، والتي ترجع إلى (ما) مراعاةً للَّفظ ، موضِّحةً لمفهوم الموصول الاسمي المشترك ، محقِّقةً الاتصال بين الموصول وجملة الصلة ، ويضاف إلى ذلك أنَّ عدم حَذْف الضمير قد أدى إلى استقامة الوزن وصحّة القافية ، فالبيت من بحر الطويل ، وتقطيعه هكذا :

أودُّ / مِنَ لأيّا / ممَا لا / تودُّهو وأشكو / إليها بَيْـ / نَنَاوهْـ / يَجُنْد هو

فعولُ مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

ومن خلال ذلك يتضح أنَّ مطلب العروض يحتِّم ذكْر الضمير الرَّابط لإقامة (مفاعلن) المقبوضة ، وهو ما يؤكد إسهامه في تآزُر النظام النَّحويّ مَع النَّسْج الشِّعْريّ ، وفي كلِّ ذلك ما يبرهن على إسهام الضمير الرَّابط بين الموصول وصلته في الجملة الفعلية ، ذات المضارع في حُسْن السَّبْك والحَبْك .

(ب) الرَّبْط في الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي :

ورد الرَّبْط بالضمير وحْدَه في الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي حالة كونها صلةً للموصول في خمسةٍ وستين موضعًا - كما مر آنفًا - نحو قوله[١٠٤] : (من الطويل)

وَلَلَّه سَيْري مَا أَقَلَّ تَئِيَّةً ... عَشِيَّةَ شَرْقِيَّ الحَدَالَى وغُرَّبُ

عَشِيَّةَ أَحْفَى النَّاسِ بي مَنْ جَفَوْتُهُ ... وَأَهْدَى الطَّرِيقَين الَّذي أَتجَنَّبُ

فهذان البيتان في بداية مَدْح المتنبي لكافور في بائيته التي يقول فيها :

أُغَالِبُ فِيكَ الشَّوْقُ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ ... وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الهَجْرِ و الوَصْلُ أَعْجَبُ

وفيهما يقول : «سَيْري حين جعلت الحَدَالى وغُرّبُ عن يميني ، وقصدت مصر ، فما كان أسرعه ، وأقل تمكُّني فيه ، وذلك عشية جفوتُ مَنْ هو ألطف الناس بي ، وأشدهم اهتمامًا بأمري ، يعني سيف الدولة ، ويُظْهر الندم على فراقه ، وأصوب الأمرين الأمر الذي تركته لمّا قصدت كافوراً وجفوتُ سيف الدولة مع اهتمامه بأمري . وفي البيت الثاني نلاحظ أنَّ الموصول الاسمي المشترك (مَن) في محل رفع ، خبر المبتدأ (أحفى) ، وقد جاءت جملة (جفوته) الفعلية الخبرية المثبتة ، ذات الفعل الماضي صلةً للموصول ، موضحةً إيَّاه ، والتي ارتبطت به عن طريق الضمير البارز (الهاء) المفعول به في (جفوته) ، وفيه نلاحظ أنَّه طابق الموصول مراعاة للَّفظ ، وهو الأكثر . يضاف إلى ذلك أنَّ هذا الضمير البارز قد أسهم في استقامة الوزن وصحّة القافية ، فالبيت من الطويل ، وتقطيعه ووزنه هكذا :

عَشِيَّـ/ تأحْفَنَّا/ سُبِى مَنْ/ جفوتهو وَٱهْدَطْ/ طريقينلْ/ لذي أ/ تَجَنَّبُو

فعولُ مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولُ مفاعلن

ومن خلاله نلاحظ أنَّ مطْلَب العروض يقتضي ذكْر الضمير الرَّابط وعدم حَذْفه ، شأن سابقه في الشاهد السابق ، مما يؤكد إسهامه في استقامة الوزن ؛ ومن ثَمَّ صحّة القافيةُ ، وهو ما يترتب عليه القول بإسهامه في حُسْن سبك النَّص وحَبْكه .

(جـ) الرَّبْط في الجملة الاسمية المجردة والمنسوخة :

جاء الرَّبْط بالضمير في الجملة الاسمية ، مجردة ومنسوخة ، حالة كونها صلة للموصول في أربعة وعشرين موضعًا - كما تقدم - نحو قول المتنبي [١٠٥] :

(من البسيط)

لا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلا مَالُ فَلْيُسْعِدِ النُّطْقَ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الحَالُ

وَاجْزِ الأَمِيرَ الَّذِي نُعْمَاهُ فَاجِئَةٌ بِغَيْرِ قَوْلٍ ، وَنُعْمَى النَّاسِ أَقْوَالُ

هذان البيتان من بداية قصيدته التي يمدح فيها فاتكًا - وقد تقدم ذكْر مناسبتها - وفيهما يقول لنفسه : «ليس عندك خيلٌ ولا غيرها من الأموال ، تهديها إلى فاتك ، مكافئةً على إحسانه ، فأنت قادرٌ على مَدْحه ، فساعدْه بالقول الجميل ، إنْ لم يساعدك الحال على الأجر الجزيل . . . كافئ الأمير الذي يفاجئ بإنعامه من غير وعد ، وغيره يقول ولا يفعل ، يعرِّض بكافور»[١٠٦] . وفي البيت الثاني منهما نلاحظ أنَّ الاسم الموصول المختص (الذي) في محل نصب على النعت للمفعول به (الأمير) ، وقد جاءت صلته جملةً اسميةً مجردةً من الناسخ ، ولمَّا كان وجود الرَّابط لازمًا لحُسْن السَّبْك والحَبْك ، فقد كان ضمير الغائب - المبنى على الضم في محل جرٍّ على الإضافة - رابطًا بين الموصول وجملة الصلة ، مطابقًا الموصول مطابقةً تامةً ، موضِّحًا إيَّاه ، فهذا الرَّابط اللغوي اللفظي بتشكيله حركة اتصال بين الموصول وصلته ، يكون قد أسهم في تحقُّق الاستمرارية في ظاهر النَّص ؛ ومن ثم الاستمرارية الدلالية في عالم النَّص أيضًا ، وليس هذا فحسب ، بل أسهم في توافُق

النظام النَّحويّ مع النَّسْج الشِّعْريّ ، فالبيت من البسيط ، ووزنه وتقطيعه هكذا :

وَجْزِلأَمِيـ / رلَّذي / نعماهفا / جئتن بغيرقَـوْ / لْنوَنُعْ / مَنَّاسأق / وَالُو

مستفعلن فاعلن مستفعلن فَعلن متفعلن فاعلن مستفعلن فَعْلُنْ

ومن خلاله يتضح أنَّ الرَّابط قد أسهم في تحقُّق التفعيلة الثالثة (مستفعلن) ، فلو لم يكن الرَّابط ، لتحوَّلت التفعيلة إلى (مستفعلْ) بحَذْف الخامس المتحرك عَقْلاً ، وهو ما لَم يدخل البسيط ، بل يدخل الوافر فقط ، فتتحول إلى مفاعلن ، «وحين تُحْذف هذه اللام يُمْتَنع أن تُحْذف نون مفاعلتن حذراً من اجتماع أربعة متحركات في توالى البيت إذا جاء بعد التفعيلة مفاعلتن أخرى مبدوءةٌ بوتد مجموع» [١٠٧] . وفى هذا ما يؤكد على إسهام الرَّابط في استقامة وزن البسيطً وصحّة القافية ؛ ومن ثَمَّ دوره في حُسْن السَّبْك والحَبْكَ .

(د) حَـذْفُ الرَّابط :

يشير الواقع اللغوي إلى أنَّ الضمير الرَّابط في جملة الصلة قد يكون في محل رفع أو نصب أوجرٍّ ، وقد يكون مذكوراً أو مَحذوفًا ، وأنَّ مع الحذف يُشْترط أَمْن اللبس ووضوح المعنى ، بالإضافة إلى شروط أخرى خاصة بمحلِّ كلِّ حالة من حالات الضمير [١٠٨] ؛ ومن ثَمَّ فإنَّ هذا الحذفً مرتبطٌ بالصحّة النَّحويّة ؛ ومَن ثَمَّ الصِّحة النقدية . وأكثر ما يكون الحذف عندما يكون العائد مفَعولاً به ، يقول المبرد : «ولو قلت : ضرب مَنْ أبوك منطلقٌ زيداً لم يَجْز ، فإنْ جَعَلت مكان الكاف هاء ، وقلت : أبوه ، صحّت المسألة بالراجع من ذكره . وكذلك بلغني ما صنعت ؛ لأنَّ ههنا هاءً محذوفة ، وكذلك رأيت مَنْ ضربت ، وأكرمتُ مَنْ أهنت ، في كلِّ هذا قد حَذَفْتَ هاءً ، وإنما حذفتها ؛ لأنَّ أربعة أشياءَ صارت اسمًا واحدًا ، وهى : الذي ، والفعل ، والفاعل ، والمفعول ، فخَفَّفْت منها ، وإن شئت جئت بها» [١٠٩] .

هذا ، وقد لوحظ من خلال العرض السابق فيَ هذا المبحث أنَّ الضمير الرَّابط كان مذكوراً ، سواءٌ أكان مستتراً مدلولاً عليه بصيغه الفعل أم بارزًا كائنًا بصورته ،

لكن هذا الأمر لم يكن ديدن الرَّابط في جملة الصلة في الكافوريات ، بل أتى محذوفًا ، وذلك في حالة كونه مفعولاً به فقط ، سواءٌ أكان هذا الحذف في الحشو أم في العروض أم في الضرب ، وكان أكثر حذْفه في الحشو ، وقد جاء ذلك في خمسة وثلاثين موضعًا[١١٠] ، تنوّع فيها الاسم الموصول بين (ما) ، والذي ، ومَنْ ، والتي ، ومثال الحذف في العروض والحشو معًا قوله[١١١] : (من البسيط)

لَيْتَ الحَوادثَ بَاعَتني الَّذي أخَذَتْ مِنِّي بِحِلْمِي الَّذي أعْطَتْ وَتَجْرِبتي

والمعنى كما يقول : «إنَّ الحوادث أخذت منِّي الشباب ، وأعطتني الحكْمة والتجارب ، فليتها ردّت عليّ ما أخذته من الصبى ، وأخذت ما أعطت من الحلم والنُّهى»[١١٢] ، وفي هذا البيت نلاحظ أنَّ كلا الفعلين (أخذت ، وأعطت) صلةٌ للموصول الاسميّ المختص (الذي) ، والأول منهما في موضع العروض ، والثاني في الحشو ، وفيهما نلاحظ أنَّ الضمير العائد الرَّابط مفعولٌ به محذوفٌ مع اتضاح المعنى وأمْن اللَّبس ، والتقدير في الموضعين (أخَذتْه ، وأعطَتْه) ، يقول ابن يعيش : « اعلم أنَّ المفعول لمّا كان فضلةً ، تستقلُّ الجملة دونه ، وينعقد الكلام من الفعل والفاعل بلا مفعول ، جاز حَذْفه وسقوطه ، وإن كان الفعل يقتضيه»[١١٣] . وممّا لا شك فيه أنَّ هذا الحَذْف من نوع الحذف اختصاراً للمفعول به ، وهو أنْ «يُحْذَف من جهة اللفظ ويُراد من طريق المعنى والتقدير»[١١٤] ، وهو ما يدلُّ عليه المعنى والقرينة اللفظية (الاسم الموصول) ، والغاية من هذا الحذف إشراك المُتلقّي مع المبدع ، وإعمال ذهْنه في الكَشْف عن المحذوف ؛ ومن ثَمَّ مشاركة المبدع في تشكيل المعنى ، وهو ما يترتب عليه إدراك مدى إسهام هذا الحذف في تماسك التراكيب ؛ ومن ثم سبك النَّص وحبكه ، وهم ما يؤدى إلى القول بتحقق الكفاءة النَّصية[١١٥] ، وأنَّ ثمَّة علاقةً بين النَّحو والنَّسْج والدلالة في النَّص .

أضف إلى ذلك - وهو ما لا أمَلَّ منه - أنَّ هذا الحذف قد أسهم في استقامة الوزن ، حيث إنَّ العروض تتطلب حَذْف الرَّابط ، كما أنَّ الحشو يتطلبه أيضا ، وهو ما ترتب عليه صحّة القافية ، فالبيت من بحر البسيط ، ووزنه وتقطيعه هكذا :

لَيْتَ لَحْوَا/ دثَبَا/ عَتَللذي /أخذت منِّي بحلْ/ مى لَّذي/ أعطت وتجْ/ ربي

مستفعلن فَعِلُن مستفعلن فعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فَعْلن

ومنه يتضح أنَّ الحذف أسهم في استقامة العروض المخبونة (فَعِلُن) ، فلو لم يُحْذف الرَّابط ، لَتَحوّلت العروض إلى (متفاعل) وهو ما لم يرد في البسيط ، وكذلك لو لَم يُحْذف الرَّابط في (أعطت) لَمَا استقامت التفعيلة الثالثة في الشطر الثاني ، ولَمَا صحّت القافية برويها المراد ، وهو حرف الباء المكسورة .

نأتي إلى التمثيل لهذا الحذف في موضع القافية ، فنمثِّل له بقوله[١١٦] : (من الكامل)

يَا مَنْ يُبَدِّلُ كُلَّ يَوْمٍ حُلَّةً أَنَّى رضيتَ بِحُلَّةٍ لا تُنْزَعُ ؟

مَا زِلْتَ تَخْلَعُهَا عَلَى مَنْ شَاءَهَا حَتَّى لَبِسْتَ اليَوْمَ مَا لا تَخْلَعُ

وذلك في رثائه لفاتك (أبي شجاع) بمصر ، وهجائه لكافور ، وفيهما يقول لفاتك : كنت تنزع كلَّ يوم حُلّةً للسؤال ، وتلبس حُلّةً جديدة ، فكيف رضيت الآن بحُلّة لا تنزعها أبدًا ، ولا تبدّلها بغيرها ؟ يعني الكَفَن . لم تزل تخلع حُلَّتك على مَنْ طلبها حتى لبست الآن حُلّةً لا يشتهيها أحدٌ ، ولا يسألك أنْ تخلعها عليه[١١٧] ، وفي البيت الثاني منهما نلاحظ أنَّ جملة (لا تخلع) جملةٌ فعليةٌ خبريةٌ منفيةٌ ، ذات مضارع منفيٍّ ، قد جاءت صلةً للموصول الاسميّ المشترك ، غير المختص (ما) ، وأنَّ هذه الصلة قد حُذف منها الرَّابط ، العائد على الموصول ؛ وذلك لدلالة السياق عليه ، حيث إنَّ الهاء في (تخلعها) في الشطر الأول من البيت الثاني ، والتي تعود على (الحُلَّة) في البيت الأول تشير إلى المحذوف ، والتقدير : حتى لبستَ اليوم ما لا تخلعها ، وقد أسهم هذا الحذف في استقامة الوزن أولاً ، فاستقامت التفعيلة الأخيرة (لا تخلعُ = مُتْفَاعلن) ، بالإضافة إلى صحّة القافية ثانيًا ، برويها المراد ، وهو حرف العين المضمومة ، حيث إنَّ الوزن والقافية جزءٌ من إنتاج المعنى ، وهو الأمر الذي يؤكّد إسهام حَذْف الرَّابط في توافُق النظام النَّحويّ مع النَّسْج الشِّعْريّ ؛ ومن ثَمَّ

كان الرَّابط وسيلةً من وسائل السَّبْك والحَبْك ذات فاعلية في التشكيل اللغوي في النَّص أو البناء النَّصيّ المسبوك غير المترهل [١١٨] .

المطلب الرَّابع - الرَّبْط بالضمير في جملة خبر المبتدأ

في بداية الحديث عن الرَّابط في جملة خبر المبتدأ يمكن الإشارة إلى أنَّ جملة الخبر إنْ لم تكن نفس المبتدأ في المعنى فلابدَّ فيها أنَّ تشتمل على رابط ، حتى لا تكون أجنبيةً عن المبتدأ ، ومن هذه الرَّوابط الضمير ، يقول سيبويه : «واعلم أنَّ المبتدأ لابدَّ له من أن يكون المبنيُّ عليه شيئًا هو هو» [١١٩] . ويقول المبرِّد أيضًا : واعلم أنَّ خبر المبتدأ لا يكون إلا شيئًا هو الابتداء في المعنى ، نحو : زيدٌ أخوك ، وزيدٌ قائم . فالخبر هو الابتداء في المعنى ، أو يكون الخبر غير الأول ، فيكون له فيه ذكْرٌ ، فإنْ لم يكن على أحد هذين الوجهين ، فهو مُحالٌ ، ونظير ذلك : زيد يذهب غلامه ، وزيد أبوه قائم ، وزيد قام عمرو إليه ، ولو قلت : زيدٌ قام عمرو ، لم يجز ؛ لأنَّك ذكَرْت اسمًا ولم تخبر عنه بشيء ، وإنَّما خبَّرت عن غيره» [١٢٠] ، وهكذا نرى المبرِّد أيضًا – وهو ما سار عليه النحاة حتى الآن – لا يجُيز : زيد قام عمرو ؛ و ذلك لخلو الجملة من الرَّابط العائد على المبتدأ . وهذا الضمير الرَّابط قد يكون بارزًا أو مستترًا أو محذوفًا ، ويُشترط فيه أنْ يكون مطابقًا للمبتدأ في التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع ، وتجدر الإشارة إلى أنَّ جملة الخبر المشتملة على الضمير تقع اسميةً وفعليةً وشرطيةً ، مع ملاحظة أنَّها (الشرطية) محلُّ خلاف بين النَّحويّين [١٢١] .

وبعد استقراء كافوريات المتنبي وجدت أنَّ الرَّبْط بالضمير في جملة الخبر قد جاء في واحد وثمانين موضعًا ، جاء فيها الخبر جملةً اسميةً ، منسوخةً بناسخ فعليٍّ أو حرفيٍّ دون المجردة في ثلاثة مواضع [١٢٢] ، وجملةً فعليةً ذات مضارع مثبت ومنفيٍّ في تسعة وأربعين موضعًا [١٢٣] ، وذات فعل ماض في ثلاثة وعشرين موضعًا [١٢٤] ، وجاء الخَبر جملةً شرطيةً في ثمانية مواضع [١٢٥] ، وفي كلِّ ذلك كان المبتدأ إمّا مجردًا أو منسوخًا أيضًا ، وكان الرَّبْط في كلِّ هذه المواضع باستخدام الضمائر (هو ، وهي ، وتاء الفاعل ، وأنت ، ونحن ، وواو الجماعة ، وأنا ، وألف الاثنين ،

وهاء الغائب للمذكر وللمؤنث) ، وفيما يلي عرضٌ للربط بالضمير في أنماط جملة خبر المبتدأ .

(أ) الرَّبْط بالضمير في جملة الخبر الاسمية :

من خلال الإحصاء السابق تبين أنَّ الرَّبْط بالضمير في سياق الجملة الاسمية ، كان في الخبر حالة كونه جملةً اسميةً منسوخةً بالناسخ الفعليِّ (ليس) ، وذلك في ثلاثة مواضع ، نحو قول المتنبي[١٢٦] : (من الخفيف)

وكَـلاَمُ الوُشَـاةِ لَيْس عَلَى الأحْـبَـا ب سُـلْطـانُه عَـلَـى الأضْـــــدَاد

فقوله : (وكَلاَمُ الوُشَاة لَيْس عَلَى الأحْبَاب) جملةٌ اسميةٌ خبريةٌ مثبتةٌ مجردةٌ من الناسخ ، جاء خبرها جملَةً اسميةً منسوخةً بالناسخ الفعليّ (ليس) ، ولمّا كانت جملة الخبر ليست نفس المبتدأ في المعنى ، فقد لزم وجود الرَّابط ، ليتحقق اتصالها بالمبتدأ ، ومن ثَمَّ حُسْن السَّبْك والحَبْك ، وهذا الرَّابط هو الضَمير المضمر ، الواقع اسمًا للناسخ (ليس) ، والمطابق للمبتدأ المُعرَّف بالإضافة (كلام الوشاة) في الإفراد والتذكير ، وذلك على إعراب (سلطانه) مبتدأ ، و (على الأضداد) خبره ، واسم (ليس) الضمير المضمر ، و (على الأحباب) خبر ليس ، أو على رواية (سلطانَه) بالنَّصب أيضًا ، على أنَّها خبر (ليس) واسمها الضمير المضمر[١٢٧] فعلى الروايتين يكون الرَّابط الضمير المضمر . ومن المفيد الإشارة إلى أن البيت الذي معنا كان في سياق ذكْرَه للصُّلح بين كافور ومولاه أنوجور والذي بدأه بقوله :

حَسَمَ الصُّلْحُ ما اشْتَـهَتْهُ الأعَادِي وأذَاعَـــتْـــهُ ألْسُنُ الحُـــسَّـــاد

والمعنى على رواية رفع (سلطانه) أنَّ كلام الوشاة إنَّما يوقع الفساد إذا كان بين الأضداد ، فأمّا بين الأحباب المتصافين ، فلا يوقع الفساد ، وعلى النَّصب يعني أنَّه ليس يتصلت على الأحباب ، بل سلطانه على الأضداد[١٢٨] . والملاحظ أنَّ عدم ظهور الضمير في البنية السطحية قد أسهم في استقامة وزن الخفيف وصحّة القافية ، وهذا ما حدث في جلِّ المواضع التي نحن بصددها[١٢٩] ، وبذلك يكون الضمير

الرَّابط قد شكّل حلقة اتصال بين المفهومين ، أعني المفهوم الأول أي المبتدأ (كلام الوشَاة) ، والمفهوم الثاني (جُملة الخبر) ، وهو الأمر الذي أسهم في الاستمرارية في ظاهر النَّص ، أي انتظام المباني النَّحويّة ، ومن ثم الاستمرارية الدلالية في عالم النَّص .

(ب) الرَّبْط بالضمير في جملة الخبر الفعلية :

فيما سبق كان الرَّبْط بالضمير في جملة الخبر الاسمية في الكافوريات في ثلاثة مواضع ، أمّا هنا فإنَّ جُلَّ الرَّبْط بالضمير في الاسمية كان عندما كان الخبر جملةً فعليةً ذات فعل مضارع مثبت ومنفيٍّ ، مبنيٍّ للمعلوم وللمجهول ، كما جاء فعلاً ماضيًا مثبتًا ، ومثال الرَّبْط فيما كان الخبر فيه جملةً فعليةً ذات مضارعٍ قوله [١٣٠] : (من الطويل)

وأَخْلاقُ كافُورٍ ، إذا شِئْتُ مَدْحَهُ وإنْ لَمْ أشَأْ تُمْلي عَلَيَّ وأَكْتُبُ

فالمتنبي في هذا البيت يقول : «إنْ كانت الهموم شغلتني عن الشعر ، فإنِّي إذا شئتُ مَدْح كافور ، فإنَّ أخلاقه تبعثني على مَدْحه ، فأكتبه وإنْ لم أتفكر فيه» [١٣١] ، وفيه نلاحظ أنَّ جُملة (وأخلاق كافور . . . تُملي عليَّ) جملةٌ اسميةٌ خبريةٌ مثبتةٌ ، جاء الخبر فيها جملةً فعليةً ذات فعل مضارع مُثبت ، وكان الرَّابط بينها وبين المبتدأ – المعرَّف بالإضافة – الضمير المستتر (هي) في الفعل تُملي ، والتقدير : تملي هي ، لكن الصِّحّة النَّحويّة تمنع ظهور الرَّابط المستتر ، إذ إن الفعل (تُملي) دالٌّ عليه بصيغته . والملاحظ أنَّ هذا الاستتار قد أسهم في استقامة الوزن وصحّة القافية ، فالبيت من الطويل ، وتقطيعه ووزنه هكذا :

وأخلا / قُكَافورن / إذا شئْـ / تمدحهو وإنْلم / أشَأتملي / عَلَيَّ / وأكتبو

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولُ مفاعلن

ومن خلاله يتضح استقامة التفعيلة الثانية في الشطر الثاني ؛ ومن ثَمَّ استقرار كلمة القافية برويها المراد في مكانها ، وهو ما يؤكّد على توافُق النظام النَّحويّ مع النَّسْج الشِّعْريّ ؛ ومن ثَمَّ كان الرَّابط مُسْهِمًا في تعلُّق كلمات البيت بعضها ببعض

من أوله إلى آخره ، فكان البيت جيّد السَّبْك ، حَسَن الرصف ، وهـو ما أسهم في سبْك النَّص وحبكه أيضًا . ومثال الرَّبْط فيما كان الخبر فيه جملةً فعليةً مُصدَّرةً بفعلٍ ماضٍ قَول المتنبي [١٣٢] : (من المتقارب) .

فَلَمَّـا أنخْنَا ركَـزْنَا الـرِّمـا ... حَ فَـوْقَ مَكَارِمنَا وَالعُـلاَ
وَبتْنَا نُـقَـبِّـلُ أسْـيَـافَنَا ... وَنَمْسَحُـهـا مِنْ دمَـاء العـدى
لتَـعْلَمَ مـصْـرُ وَمَنْ بالعـرَاق ... وَمَـنْ بالعَـواصِم أنِّي الفَـتَى
وَأنِّـي وَفَـيْـتُ وَأنِّي أَبَـيْـتُ ... وَأنِّي عَـتَـوتُ عَلَى مَنْ عَـتَـا

فهذه الأبيات من القصيدة رقم مائتين وتسعة وستين بشرح أبي العلاء ، يصف فيها منازل طريقه في العراق بعد رحيله من مصر متخفيًا ، يائسًا من كافور ، هاجيًا له ، مفتخرًا بمسيره في البادية ، وفيها يقول : لمَّا نزلنا الكوفة أنخْنا إبلنا وركزْنا رماحنا فوق العزِّ والمكارم ، يعني أنَّ هذا المسير فخرٌ لنا ، عالي المحل ؛ لأنا أرغمنا به أنف كافور مع مُلكه ، ولمَّا وصلنا إلى وطننا ، قبّلنا أسيافنا شكرًا لها ، ومسحنا عنها دماء الأعداء ،الذين قتلناهم بها . يقول : فعلنا هذا ، ليعلم أهل مصر ، وأهل العراق وأهل العواصم (أي سيف الدولة) أنِّي الفتى الكامل في جميع الخصال ، فعلت هذا ، ليعلم مَنْ في مصر أنِّي وفَيْت بما وعدتُ من سَيري ، وأنِّي أبَيْت خيمة كافور ، وأنِّي قهرت كلَّ طاغٍ [١٣٣] .

هـذا وفي البيت الأخير من هذه الأبيات نلاحظ أنَّ الجملة الاسمية الخبرية المثبتة المنسوخة بأنَّ في المواضع الثلاثة قد جاء الخبر فيها جملةً فعليةً مثبتةً ، ذات فعل ماض (أنِّي وفَيْت - أنِّي أبَيْتُ - أني عَتَوت) . وتحقيقًا للربط بين المفهومين ، أعني مفهوم المبتدأ (اسم أنَّ) ومفهوم جملة الخبر في المواضع الثلاثة جاء الضمير البارز (تاء الفاعل) رابطًا بين جملة الخبر واسم أنَّ ، مطابقًا إيّاه في الإفراد والتذكير ، مُسْهمًا في إقامة المباني النَّحويّة ؛ ومن ثَمَّ تحقُّق الصِّحّة النَّحويّة ، بالإضافة إلى استقامة الوزن وصحّة القافية ، فالبيت من المتقارب ، وتقطيعه ووزنه هكذا :

وأنّي / وفَيْت / وأنّي / أبَيْتُ وأنّي / عَتوتُ / على مَنْ / عتا

فعولن فعول فعولن فعولن فعولن فعول فعولن فعو

ومن خلال ذلك يتضح توافُق النظام النَّحويّ مع النَّسْج الشِّعْريّ ، وذلك من خلال ما أتاحه الضمير البارز الرَّابط ، أضف إلى ذلك إسهام الزحاف المتمثل في القبض بحذف الخامس الساكن في مجيء التركيب في (وفيت وعتوت) على الهيئة التي ورد عليها ، وهو ما سيكون لنا معه وقفةٌ - إن شاء الله - في بحث آخر .

(جـ) الرَّبْط بالضمير في جملة الشرط الواقعة خبرًا :

يشير النحاة بناء على ما بين أيديهم من موروث لغويٍّ إلى أنَّ جملة الخبر كما تكون اسميةً وفعليةً وظرفيةً تكون شرطيةً أيضًا ، نحو قولنا : زيد إنْ يقم أقم معه ، «فهذه الجملة كانت من أنواع الجمل الفعلية ، وكان الأصل في الجملة الفعلية أنْ يستقل الفعل بفاعله ، نحو : قام زيد ، إلا أنَّه لمّا دخل ههنا حرف شرط ، ربط كل جملة من الشرط والجزاء بالآخر ، حتى صارتا كالجملة الواحدة ، نحو المبتدأ والخبر ، فكما أنَّ المبتدأ لا يستقل إلا بذكْر الخبر كذلك الشرط لا يستقلُّ إلا بذكْر الجزاء ، ولصيرورة الشرط والجزاء كالجملة الواحدة جاز أنْ يعود إلى المبتدأ منها عائدٌ واحدٌ ، نحو : زيد إنْ تكرمه يشكرك عمرو ، فالهاء في تكرمه عائدةٌ إلى زيد ، ولم يعد من الجزاء ذكْرٌ ، ولو عاد الضمير منهما جاز ، وليس بلازم ، نحو : زيد إن يقم أكرمه ، ففي يقم ضميرٌ من زيد ، وكذلك الهاء في أكرمه ، تعود إليه أيضًا »[١٣٤] .

وقد ورد الرَّبْط بالضمير في خبر اسم الشرط في الكافوريات في ثمانية مواضع ، كان الرَّابط فيها الضمير المستتر (هو) باستثناء موضع واحد كان الرَّابط فيه ضمير الغائب للمفرد المذكر في فعل الشرط ، والضمير (هو) في جواب الشرط[١٣٥] ، وذلك نحو قوله[١٣٦] : (من الطويل)

أبَا المسْك أرجُو منْكَ نَصْرًا عَلَى العِدَا وَآمُلُ غَرًّا يَخْضبُ البيضَ بالدَّمِ

ويَوْمًا يغيظُ الحَاسدينَ وَحَالَةً أُقيمُ الشَّقَا فيهَا مَقَامَ التَّنعُّمِ

وَلَـــمْ أَرْجُ إلاَّ أَهْلَ ذَاكَ وَمَـــنْ يُـرِدْ مَـوَاطِرَ من غَيْـرِ السَّـحَـائِبِ يَظْلِمِ

وذلك صدد دخول أبي الطيب على كافور ، حيث إنَّ المتنبي لَما دخل على كافور نظر إليه ، وإلى قلّته في نفْسه ونَقْص عَقله ولُؤم كَفه ، وقُبْح فعله ، صار الدم في وجهه حتى ظهر ذَلك فيه ، فخرج ، فركب ، فأتبعه الأسود بعض القواد ، ثم عاد للأسود ، فأخبره بمرض فرسه ، فأنفذ الأسود إلى المتنبي مُهرًا أدهم ، فقال هذه القصيدة ، التي منها هذه الأبيات ، يمدحه ، و يذكر أسف الحمدانيين عليه[١٣٧] ، وفي هذه الأبيات يقول لكافور : « أرجو أنْ تنصرني على أعدائي حتى أتمكن منهم وأخضب من دمائهم سيوفي ، أرجو يومًا تنعم علي فيه ، فيغيظ ذلك اليوم حُسّادي ، وأرجو منك أنْ تبلغني يومًا ، أقتل فيه أعدائي ، وأغيظ فيه حُسّادي ، وأرجو حالة أقيم الشقاء فيها مقام التنعُّم : يعني يكثر فيها تعب الحرب ، ومشقة القتال ، ويكون ذلك الشقاء عندي بمنزلة التَّنَعُّم ، أُسَرُّ به كما أُسَرُّ بالنعم . إنّما رجوتك لهذا الأمر ؛ لأنَّك أهلٌ له ، قادرٌ أن تبلغني ما أريده ، ولو طلبت ذلك من غيرك ، لكنت قد ظلمته ، وكلّفته مالا يقدر عليه ، ووضعت الشيء في غير موضعه ، وأكون كمن طلب المطر من غير سحاب»[١٣٨] .

والملاحظ أنَّ البيت الثالث من هذه الأبيات قد تضمن جملةً اسميةً هي : ومَنْ يُرد مواطر من غير السحائب يَظْلم ، وفيها جاء المبتدأ اسم شرط جازم (مَن) والخبر جملة الشرط ، «وإنما توقفت الفائدة على الجواب من حيث التعلُّق فقط ، لا من حيث الخبرية»[١٣٩] . ويمكن القول إنَّ جملة الخبر هي جملة الشرط والجواب ، بناء على أنَّ جملة الشرط لا تُتمُّ المعنى إلا بالجملة الجوابية[١٤٠] ، وعلى هذا يكون الفعل يظلم قد اشتمل على رابطٍ أيضا يعود على المبتدأ (مَنْ) ، وهو ما حقق الاستمرارية في ظاهر النَّص بإقامة المبنيِّ النَّحويّ ؛ ومن ثَمَّ الاستمرارية الدلالية المتحقِّقة في عالم النَّص ، حيث كان الرَّابط بمثابة حلقة اتصال بين اسم الشرط المبتدأ وخبره ، سواء أكان الخبر جملة الشرطَ ، أم جملة الشرط ومَعَها جملة الجواب .

وفي نهاية العرض للربط بالضمير في الجمل الجارية على المفردات أو بما يُسَمَّى ربط الجملة بما هي خبرٌ عنه ، وذلك في الحال والصِّفة والصِّلة والخبر ، على مدار هذا المبحث أشير إلى أنَّه من خلال هذا العرض يُلاحظ أنَّ للربط بالضمير فاعليته في مكانه ، سواءٌ أكان ذلك في ظاهر النَّص أم في عالمه ، أضف إلى ذلك أنَّه يُلاحظ تفوق الجمل الفعلية المكتنفة للضمير رابطًا على الاسمية مجردةً ومنسوخةً ، المكتنفة للضمير رابطًا ، وذلك راجعٌ إلى غاية دلالية ، يقصدها المبدع ، وهي أنَّ الاسم يقتضي الثبوت ، والفعل يقتضي التَّجددَ والحدوث ، وليس ذلك في الكافوريات فقط ، فقد استقصى أستاذي الدكتور زين الخويسكي - الجملة الفعلية في شعر المتنبي ، ووجد أنَّها وردت في تسعة آلاف وخمسمائة وسبع مرات [١٤١] ، ويقول عبد القاهر : فمن البيِّن في ذلك قول الأعشى [١٤٢] :

لَعَمْري لَقَدْ لاحَتْ عُيُونٌ كَثيرةٌ ... إلَى ضَوْءِ نَارٍ في يَفَاعٍ تُحَرَّقُ

تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا ... وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلَّقُ

معلومٌ أنَّه لو قيل : إلى ضوء نار متحرِّقة لَنَبَا عنه الطبع ، وأنكرته النفس ، ثم لا يكون ذاك النبو وذاك الإنكار من أجل القافية ، وأنَّها تَفْسد به بل من جهة أنَّه لا يشبه الغرض ولا يليق بالحال ، وكذلك قوله :

أَوْ كُلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاظٌ قَبِيلَةٌ ... بَعَثُوا إلَيَّ عَرِيفَهُم يَتَوَسَّمُ

وذاك لأنَّ المعنى في بيت الأعشى على أنَّ هناك موقدًا ، يتجدد منه الإلهاب والإشعال حالاً فحالاً ، وإذا قيل مُتَحرِّقة كان المعنى أنَّ هناك نارًا قد ثبتت لها ، وفيها هذه الصفة ، وجرى مجرى أنْ يقال : إلى ضوء نار عظيمة ، في أنَّه لا يفيد فعلاً يفعل . . .» [١٤٣] . وفيما تقدَّم من عرْض ما يؤكِّد على أنَّ ثَمَّة علاقةً بين النَّحو والنَّسْج والدلالة من خلال مواضع الرَّبْط بالضمير في كافوريات المتنبي .

المبحث الثاني

الرَّبْط بالواو

لمّا كان فيما تقدم الحديث عن الرَّبْط بالضمير ، متضمِّنًا الرَّبْط في الجملة الحالية ، فإنَّه من باب استكمال الموضوع أنْ نعرض للربط بالواو في الجملة الحالية دون الجملة التي هي خبرٌ المبتدأ - على سبيل المثال - فقد اكْتُفي فيها بالضمير فقط ، وقد علَّل الرَّضي ذلك بقوله «لأنَّ الحال يجيء فضلةً بعد تمام الكلام ، فاحتيج في الأكثر إلى فضل ربط ، فصُدِّرت الجملة التي أصلها الاستقلال بما هو موضوعٌ للربط ، أعني الواو التيّ أصلها الجمع ؛ لتؤذن من أول الأمر بأنَّ الجملة لم تبقَ على الاستقلال ، وأمّا خبر المبتدأ والصلة والصفة ، فإنَّها لا تجيء بالواو ؛ لأنَّ بالخبر يتم الكلام ، وبالصلة يتم جزء الكلام ، والصفة لتبعيتها للموصوف لفظًا ، وكونها لمعنى فيه معنى ، فاكتُفي في ثلاثتها بالضمير ، بلى قد تُصَدَّر الصفة والخبر بالواو ، إذا حصل لهما أدنى انفصال ، وذلك بوقوعها بعد لله إلاّ لله نحو : ما حسبتك إلا وأنت بخيل ، وما جاءني رجلٌ إلا وهو فقيرٌ ، وأمَّا الصلة فلا يعرض لها مثل هذه الحال ، فلا تُرَى أبدًا مصدرة بالواو»[١٤٤] .

وقبل العرض لمَا ورد من الرَّبْط بالواو في كافوريات المتنبي أشير إلى أنَّ الرَّبْط بالواو في الجملة الحالية يجب في موضعين ، أولهما الجملة الحالية بدون الضمير الرَّابط لفظًا وتقديرًا ، نحو انتظرت وما جاء الضيف ، فقد رُبطت جملة الحال بصاحب الحال بالواو ؛ لعدم وجود الضمير ، وثانيهما الجملةَ المضارعية المثبتة المُصدَّرة بالحرف «قد» ، نحو قوله تعالى ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ﴾[١٤٥] ، فجملة (قَد تعلمون) حالٌ من واو الجَماعة في (تؤذونني) وجاءت مَربوطةً بالواو[١٤٦] ، كما أنَّ هناك مواضع تُمْتنع فيها الواو أحَلْت عليها آنفا .

أمَّا عن جواز الرَّبْط بالواو ، فإنَّ ثمّة ثلاثة أقسام ، هي المضارع المنفيّ ، والماضي المثبت ، والماضي المنفيّ ، يجوز في كلٍّ قسم منها ثلاثة أوجه ، هي اجتماع الواو والضمير ، أو الرَّبْط بالواو وحدها أو بالضمير وحده[١٤٧] . ولمّا كان ذلك كذلك ،

فقد استقريت كافوريات المتنبي ، ووجدت أنَّ الرَّبْط بالواو وحدها قد جاء في الجملة الاسمية دون غيرها ، وذلك في أربعة مواضع[١٤٨] ، كما يلي :

الرَّبْط بالواو في الجملة الاسمية :

جاء الرَّبْط بالواو فقط في الجملة الاسمية الحالية في أربعة مواضع ، منها ثلاثة مواضع كانت الجملة فيها مبدوءةً بمضاف إلي معرَّف بالألف واللام ، والرابع كانت مبدوءة فيه باسم علم . وعلى الرغم من تصريح الرَّضي بأنَّ انفراد الواو في الاسمية ، واجتماع الواو والضمير متقاربان في الكثرة[١٤٩] ، فإنَّ هذه المواضع الأربعة ، التي نحن بصددها تعدُّ قليلةً في كافوريات المتنبي إذا ما قورنت بمواضع اجتماع الواو والضمير في الاسمية ، كما سيأتي ، ومثال ربط الاسمية الحالية بالواو قول المتنبي[١٥٠] : (من البسيط)

كَمْ زَوْرَةً لَكَ فِي الأَعْرَابِ خَافِيَةٍ ... أَدْهَى - وَقَدْ رَقَدُوا - مِنْ زَوْرَةِ الذِّيبِ

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيلِ يَشْفَعُ لِي ... وَأَنْثَنِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي

فالجملة الاسمية (وَسَوَادُ الليل يَشْفَعُ لي) جملةٌ اسميةٌ خبريةٌ مثبتةٌ حاليةٌ ، جاء المبتدأ فيها مضافًا إلى مُعرَّف بالألف واللام ، ولمّا كانت الجملة خاليةً من الضمير الرَّابط لها بالجملة السابقة (أزورهم) كان وجود الواو الرَّابطة مهمًا ؛ لأنَّ هذه الجملة أصلَها الاستقلال ، فلمّا وجدَت الواو أعلمت أنَّ الجملةَ لم تبقَ على الاستقلال ، وهذه الواو على الرغم من إطلاق النحاة عليها معنى (إذ)[١٥١] ، فإنَّ تسميتهم لها بواو الحال «لا يخرجها عن أنْ تكون مُجْتلبةً لضَمِّ جملة إلى جملة»[١٥٢] .

والمتنبي في هذين البيتين يخاطب نفسه ، قائلا : «كم مرة ذهبتَ إلى الأعراب حين رقدوا ، فزُرْتَ حبيبتكَ ، وهم لا يشعرون ، وهجمت عليهم هجوم الذئب ، إذ اختطفتها من بينهم على وجه الاحتيال والاستخفاء ، كما يفعل الذئب لما يختطف من الغنم ، ويهجم عليه من حيث لا يشعر الراعي . . . إنَّ الظلام يسترني عند زيارتي هؤلاء الأعراب ، فكأنَّه يشفع لي إلى ما أريد ، وعند الانصراف يشهرني الصبح ، ويحول بيني وبينهما»[١٥٣] .

ولمّا كانت جملة الحال هنا محتاجةً إلى الواو حتى لا يُظَنُّ أنَّ جملة الحال منفصلةٌ عمّا قبلها ؛ فذلك لأنَّ الحال خبرٌ في الحقيقة من حيث أنَّك تثبت بها المعنى لذي الحال ، كما تثبت بخبر المبتدأ للمبتدأ وبالفعل للفاعل[١٥٤] ، فالخبر كما نصَّ عبد القاهر «ينقسم إلى خبر هو جزءٌ من الجملة لا تتم الفائدة دونه ، وخبر ليس بجزء من الجملة ، ولكنه في خبر آخر سابق له ، فالأول خبر المبتدأ . . . والثاني هو الحالُ»[١٥٥] ، هذا بالإضافة إلى أنَّ الواو في باب الحال قد جُعلت رابطة ؛ لأنَّها تدلُّ على الجملة ، والغرض اجتماع جملة الحال مع عامل صاحبها[١٥٦] ، وهو ما يُسْهِم في سَبْك البيت وحَبْكه ومن ثَمَّ النَّص .

وبناءً على ذلك فإنَّه يمكن تفسير ذلك بوضوح في بيت المتنبي بقولنا : إنَّ المتنبي أثبت زيارته للأعراب ثم استأنف خبرًا ، وابتدأ إثباتًا ثانيًا ، مضمونه سَتْرُ الظلام له عند زيارته هؤلاء الأعراب ، فكأنَّه يشفع له إلى ما يريد ، ولمّا كان المعنى على استئناف الإثبات احتيج إلى ما يربط الجملة الثانية بالأولى ، فجيء بالواو ، كما جيء بها في قولك : زيدٌ منطلقٌ وعمرو ذاهب ، ورأيتُ زيدًا وسيفه على كتفه[١٥٧] ، وهو ما يدلّل عليه قول عبد القاهر : «وإذا قد رأيت الجمل الواقعة حالاً قد اختلف بها الحال هذا الاختلاف الظاهر ، فلابدَّ من أنْ يكون ذلك إنَّما كان من أجل عِلَلٍ توجبه وأسباب تقتضيه»[١٥٨] .

والجدير بالذِّكْر أنَّ هذه العلَل والأسباب ترتبط بالمعنى النَّصيّ ، الذي ترد فيه جملة الحال ، فالحال جيء بها لتزيد معنى في الإخبار عن زيارة المتنبي للأعراب ، وهو أنْ تجعله بهذه الهيئة في زيارته ، وهي سَتْرُ الظلام له ، ولم يُجَرِّد المتنبي إثباته للزيارة ومباشرته لها ابتداءً ، بل بدأ فأثبت الزيارة ، ثم وصل بها سَتْرَ الظلام له ، فالتبس به الإثبات على سبيل التَّبَع لغيره[١٥٩] ؛ ومن ثَمَّ كانت الإشارة إلى أنَّ المعنى الثاني (جملة الحال)غير موصول بالأول (الجملة المكتنفة لصاحب الحال) في إثبات واحد ، وهو الأمر الذي يبرِّر دور هذا الرَّابط (واو الحال) في حُسْن السَّبْك والحَبْك ، وذلك من حيث ارتباطه بالمعنى في كافوريات المتنبي - بناءً على استقراء المواضع

الأخرى وفَحْصها - حتى أمكن القول بأنَّ واو الحال في الجملة الاسمية الحالية قد أسهمت في تحقُّق الاستمرارية في ظاهر النَّص ، فأُقيمت المباني النَّحويّة ، ولم تبقَ الجملة على استقلالها ، كما تحققت أيضا الاستمرارية الدلالية في عالم النَّص ، وذلك من منطلق كَون هذا الرَّابط يشكِّل حلقة اتصال بين الحال وصاحبها ، وهو الأمر الذي يُظْهر أنَّ ثَمَّة علاقةً بين النَّحو والنَّسْج والدلالة من خلال مواضع الرَّبْط بالواو في كافوريات المتنبي ، وفيما يلي عرضٌ للربط بالواو والضمير في الجملة الحالية في الكافوريات .

المبحث الثالث

الرَّبْط بالواو والضمير

لقد اتضح لنا فيما سبق من خلال كلام النُّحاة حول الرَّبْط بالضمير أو بالواو في الجملة الحالية أنَّ اجتماع الواو والضمير في الجملة الاسمية ، وانفراد الواو متقاربان في الكثرة - وهو ما لا يؤيده الإحصاء في الكافوريات - لكن اجتماعهما أولى ، احتياطًا في الرَّبْط ، أي أنَّ اجتماعهما معًا من أجْل تقوية الرَّبْط (١٦٠) ، كما اتضح لنا أنَّ كلاً من المضارع المنفيّ والماضي المثبت والماضي المنفيّ يجوز فيه اجتماع الواو والضمير ، والاكتفاء بأحدهما . ولمّا كان الرَّبْط بالواو والضمير لا يكون إلا في الجملة الحالية ، ففيما يلي عرضٌ لأنماط الرَّبْط بالواو والضمير في هذه الجملة على النحو التالي :

أولاً - الرَّبْط بالواو والضمير في الجملة الفعلية الحالية:

لمّا كان الرَّبْط بالواو والضمير في اللغة واردًا في غير ما تجب فيه الواو أو تمتنع ، فقد ورد هذا النمط من الرَّبْط في الجملة الفعلية الحالية بما سبقها في كافوريات المتنبي في عشرة مواضع (١٦١) ، منها ستة مواضع مع الماضي المثبت المسبوق بقد ، وموضعان مع الماضي المنفيّ ، وموضعان مع المضارع المثبت بدون قد ، وذلك فيما يلي :

(أ) الرَّبْط بالواو والضمير في الجملة الفعلية الحالية ذات الماضي المثبت :

تقع الجملة الفعلية ذات الماضي المثبت حالاً شريطة وجود (قد) ظاهرةً أو مقدَّرةً قبل الماضي ؛ لأنه لمّا كان ظاهره مناقضة الحال ، فقد احتاج إلى (قد) المقرِّبة

له من الحال ، لفظًا أو تقديرًا ، مع ملاحظة- كما أشرت باقتضاب آنفًا في المبحث الأول - أنَّ الأخفش والكوفيين غير الفرَّاء ، ومَنْ رَجّح مذهبهم مثل أبي حيان في البحر المحيط ، لم يوجبوا (قد) في الماضي المثبت ظاهرةً أو مقدرةً ، استدلالاً بقوله تعالى : ﴿ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾[١٦٢] وقول أبي صَخْر الهُذَلي :

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرَاكِ هِزَّةٌ كَمَا انْتَفَضَ العُصْفُورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ

وغيرهم ، أعنى البصريين الذين أوجبوا (قد) مع الماضي المثبت[١٦٣] ؛ ولذلك نرى القرآن الكريم قد كَثُر فيه وقوع الجمل الحالية ذات الفعل الماضي ، مُصدَّرةً بقد المسبوقة بواو الحال - وإنْ كان الماضي بدون قد حالاً قد جاء في القرآن أيضًا - وذلك في ستة وثلاثين موضعًا[١٦٤] ، أمّا الفعلية ذات الماضي المُصدَّر بقد المسبوقة بالواو ، وليستْ الجملة حاليةً ، فقد ورد في مواضع قليلة[١٦٥] . ولمّا كانت جملة الحال ذات الماضي المثبت تُرْبط بالواو أو بالضمير أو بهما معًا ، فقد استقريت الكافوريات ووجدت أنَّ هذه الجملة قد جاءت في ستة مواضع مسبوقة بقد ، ومربوطة بالواو والضمير ، نحو قوله[١٦٦] : (من المتقارب)

بُسَيْطَةُ مَهْلاً سُقِيتِ القِطَارَا تَرَكْتِ عُيُونَ عَبِيدِي حَيَارَى
فَظَنُّوا النَّعَامَ عَلَيْكِ النَّخِيلَ وَظَنُّوا الصُّوَارَ عَلَيْكِ المَنَارَا
فَأَمْسَكَ صَحْبِي بِأَكْوَارِهِمْ وَقَدْ قَصَدَ الضِّحْكُ فِيهِمْ وَجَارَا

فالمتنبي في هذه الأبيات الثلاثة يذكر ضلال غلمانه في حَذَر الأشباح ، التي لاحت لهم في البادية المسماة بُسَيْطة[١٦٧] ، فيقول : سُقيت المطر يا بُسيطة مهلاً ، فإنك حَيّرت عيون عبيدي ، فدعا لها بالسُّقيا ، ولم يدعُ عليها ؛ لكي تكفَّ عن التحيُّر ، فلو دعا عليها لزادت في التحيير ، فتلطّف لها بالدعاء والسقيا ، حيّرت عيونهم حتى ظنوا أنَّ النعام نخيلٌ ، وأنَّ الثور منار الجامع ، وفى البيت الثالث يقول : لمّا سمع صحابي ذلك ضحكوا حتى خافوا أنْ يسقطوا عن إبلهم ، وفيهم مَن ضحك ضحكًا معتدلاً ، وفيهم من جاوز الحد في الضحك[١٦٨] .

وفى هذا السرد لمضمون الأبيات ما يؤيد القول بأنَّ جملة (وَقَدْ قَصَدَ الضِّحْكُ فيهمْ) جملةٌ فعليةٌ خبريةٌ حاليةٌ ، ذات ماض مثبت ، متصرِّف ، مسبوق بقد ، وأنَّ صَاحبها كلمة (صَحْب) المضافة إلى ياء المتكلِّم ، أيَ أنَّ الصَّحْبَ عندما سمعوا ظن غلمان المتنبي في أنَّ النعام نخيلٌ وأنَّ الثور منار الجامع ، كان حالهم الضحك بين ضحك معتدل ، وضحك قد تجاوز الحد ، ويُلاحظ أنَّ هذه الجملة الحالية قد رُبطت بصاحب الحال عَن طريق واوَ الحال والضمير في قوله (فيهم) العائد على كلمة (صَحْبِي) .

وأرى أنَّه لا يعدُّ من نافلة القول الإشارة إلى أنَّ الماضي المثبت (قصد) لمّا وجدَ معه الضمير في كلمة (فيهم) ، والذي يعود على صاحب الحال ، وكانت معه (قد) ، فإنَّ اجتماع الواو وقد - كما في هذه الصورة - أكثر من انفراد أحدهما ، وانفراد (قد) أكثر من انفراد الواو[١٦٩] . وبناءً على هذا يمكن القول إنَّ الرَّبْط بالواو هنا له دلالته المؤثرة في سَبْك وحَبْك البيت ؛ ومن ثَمَّ النَّص ، فلمّا أثبت إمساك الصَّحْب برحالهم ، استأنف خبرًا ، وابتدأ إثباتاً ثانيًا ، مضمونه حالة ضَحك الصَّحْب ، وبهذا يكون المعنى على استئناف الإثبات ، والإشارة إلى أنَّ المعنى الأول غير موصول بالثاني في إثبات واحد ، ولمّا كان ذلك كذلك احتيج إلى ما يربط الجملة الثانية بالأولى[١٧٠] فجيء بواوَ الحال رابطةً - على الرغم من أنَّه يجوز له أنْ يقول : قد قصد الضحك فيهم ، بدون الواو ، اعتمادًا على الضمير في قوله (فيهم) - وجيء أيضًا بقَدْ قبل الماضي ؛ كي تُقرِّبه إلى الحال لمّا كان الماضي مناقضًا للحال في الظاهر .

هذا بالإضافة إلى أنَّ الضمير قد أسهم في تحقُّق مبدأ الاعتماد النَّحويّ - الذي يكتنف الوسائل التي من خلالها تتحقق الاستمرارية في ظاهر النَّص ، ومن ثم السَّبْك[١٧١] - فأشار بعَوده على كلمة (صحبي) إلى أنَّ ثمة حلقة اتصال بين جملة الحال وما سبقها ؛ ومنَ ثَمَّ كان وجوده مقويًا للربط ، وهو الأمر الَّذي حقق الاستمرارية في ظاهر النَّص ؛ ومن ثَمَّ الاستمرارية الدلالية في عالم النَّص ، بناء على أنَّ البيت جزءٌ من نسيج النَّص .

بقي لي أنْ أشير إلى أنَّه على الرغم من جواز قَوْل الشَّاعر : فأمسك صحبي بأكوارهم قد قصد الضحك فيهم وجارا ، فإنَّ هذه الواو قد أسهمت في توافُق النظام النَّحويّ مع النَّسْج الشِّعْريّ بما يتيحه من وسائل ، فالبيت من المتقارب ، وتقطيعه ووزنه هكذا :

فَأمْسَ / كَصَحْبي / بأكْوَا / رِهُمْ وَقَدْق / صَدَضْضَحْ / كُفيهم / وجارا

فعـول فعولن فعولـن فعو فعول فعولن فعولن فعولن

فالعروض محذوفةٌ والضرب صحيحٌ ، وقد دخل الحشو حَذْف الخامس الساكن ، وهو ما يسمى قبضًا ، لكن ما يهمُّنا أنَّ واو الحال قد أسهمت في تحقُّق التفعيلة (فعولُ) في عجز البيت ، ممّا أدى إلى استقامة الوزن ، وصحّة القافية برَويِّها المراد .

ومثال ذلك أيضا في الكافوريات قوله[١٧٢] : (من البسيط)

وكَيْفَ أجْحَدُ يا كَافُورُ نعْمَتَها وَقَدْ بَلغْنَكَ بي يَا كُلَّ مَطْلُوبي ؟!

وفيه نلاحظ أنَّ جملة (وَقَدْ بَلغْنَك) جملةٌ فعليةٌ خبريةٌ حاليةٌ ، ذات فعل ماض مثبت ، مسبوق بقد ، وقد رُبطت بصاحبها (الهاء في كلمة نعْمتها) بالواو والضمير (نون النسوة) في الفعل (بلَغ) . والجدير بالذّكر أنَّ الهاء في (نعمتها) عائدةٌ على الخيل المذكورة في البيت السادس والثلاثين في هذه القصيدة ، حيث شكّلت (الخيل) مرتكزًا ضوئيًا عاد عليه كثيرٌ من الضمائر ، وذلك في قوله[١٧٣] :

وَجَدْتُ أنْفَعَ مَالٍ كُنْتُ أذْخَرُهُ مَا في السَّوَابِقِ مِنْ جَرْيٍ وَتَقْرِيبِ

فالمتنبي في هذا البيت يقول : «كان أنفع مال وجدته وجمعته ما في الخيل السوابق من الجَرْي والتقريب ، جعل الجَرْي والتقرّيب مالاً ، لمّا وصَل بهما إلى المال ، لاتصاله بالممدوح»[١٧٤] . وقد جرى ذكْر السوابق فيما بعد في القصيدة عن طريق الضمائر العائدة عليها ، ومنها الهاء في (نعْمتها) ، وعلى ذلك فالمتنبي في البيت موضع الجملة الحالية يقول : «وكيف أجحَدُ نعَم هذه الخيل السوابق ! وهي التي بلغتني إليك ، وأنت مأمولي وغاية كل مطلوبي»[١٧٥] .

ومّما لا شك فيه أنَّ وجود الضمير العائد في هذه الجملة الحالية قد جعل وجود (قد) والواو وجوداً جائزاً[١٧٦]، حيث يجوز له أنْ يقول : وكيف أجحد يا كافور نعْمتها ، بلغنك بي يا كل مطلوبي ، لكن وجود كلٍّ من الواو ، و (قد) مع الضمير العائد ، قد جعل الرَّبْط أكثر فاعليّة ، وأعطى الجملة معنى لا نجده بدونها ، وذلك ناتجٌ عن أنَّ الواو قد أفادت إثبات عدَم جحود المتنبي نعَمَ هذه الخيول السوابق ، ثم استأنف إثباتًا آخر ، مخبراً بأنَّها هي التي بلّغته كافوراً ، هذا بالإضافة إلى معنى (قد) الدالة على التحقيق ، الذي لا مجال للشك فيه ، أضف إلى ذلك أنَّ وجود الواو و(قد) أسهم في تحقيق تفعيلة البسيط (وَقَدْ بَلَغْ = مُتَفْعلن) ؛ ومن ثَمَّ استقام الوزن وصَحّت القافية ، وفي كل ذلك ما يعين على حُسْن السَّبْك والحَبْك .

(ب) الرَّبْط بالواو والضمير في الحالية ذات الماضي المنفى :

ورد الرَّبْط بالواو والضمير في الجملة الفعلية الحالية ذات الماضي المنفيّ في الكافوريات في موضعين ، نحو قوله[١٧٧] : (من البسيط)

مِمَّا أضَرَّ بأهْلِ العِشْق أنَّهُمُ هَوُوا ومَا عَرفُوا الدُّنيا ولا فَطنُوا

أي أنَّ «أهل العشق اغترُّوا بظواهر الدنيا ، فاغترُّوا بحُسْن الخَلْق ، وأحبُّوا مَنْ هو حَسَن الوجه ، ولم يعتبروا قُبْح أفعاله ، ولم يَنْظروا إلى حوادث الزمان وأحوال الدهر ، فأخّر ذكرهم»[١٧٨] ، وذلك في مقدمة قصيدته التي قالها بمناسبة علْمه بأنَّ قومًا نَعَوه في مجلس سيف الدولة بحلب[١٧٩] . وفي هذا البيت نلاحظ أنَّ جملةٌ (وَمَا عَرفُوا الدُّنيا) جملةٌ فعليةٌ خبريةٌ حاليةٌ منفيّةٌ بحرف النفي (ما) ، نمطها :

واو الحال+ ما+ فعل + فاعل+ مفعول

وقد جاءت حالاً من الضمير في (هَووا) الذي يعود على أهل العشق ، مبيّنةً أنَّ حالهم وقت حبهم مَنْ هو حَسَن الوجه ، هو عدم النظر إلى حوادث الزمان وأحوال الدهر ، وقد رُبطت هذه الجملة بصاحبها بواسطة واو الحال ، والضمير (واو الجماعة) في (عرفوا) ، حيث إنَّ جملة الحال - كما تقدم - إذا كانت ذات فعلٍ

ماضٍ منفيٌّ جاز فيها الواو مع الضمير أو الواو وحدها أو الضمير وحْدَه ، لكن اجتماعهما هنا قوّى الرَّبْط ؛ ومن ثَمَّ الإسهام في تحقُّق الاستمرارية في ظاهر النَّص وفي عالمه .

(جـ) الرَّبْط بالواو والضمير في الحالية ذات المضارع المثبت :

ورد الرَّبْط بالواو والضمير في الجملة الفعلية الحالية ذات المضارع المثبت في موضعين اثنين أيضًا ، نحو قوله[١٨٠] : (من الوافر)

عَجِبْتُ لِمَنْ له قَدٌّ وَحَدٌّ ... وَيَنْبُو نَبْوَةَ القَضِمِ الكَهَامِ

أي أنَّه يقول : «عجبتُ ممّن له صورة الرجل الكامل ، وآلةٌ تبلِّغه إلى معالي الأمور ، فلم يبلغ إليها ، وينبو كالسيف الكليل»[١٨١] ، وذلك في قصيدته التي يصف فيها الحُمّى ، ويهجو كافورًا[١٨٢] ، ومن خلال هذا البيت يُلاحظ أنَّ قوله (وَيَنْبُو نَبْوَةَ القَضِمِ الكَهَامِ) جملةٌ فعليةٌ خبريةٌ حاليةٌ ذات مضارعٍ مثبت ، نمطها :

واو الحال + فعل مضارع + فاعل مستتر + مفعول مطلق + مضاف إليه + نعت

أي أنَّ الجملة حالٌ من الاسم الموصول (مَنْ) المُوضَّح بصلته ، والذي يعنى الرجل الكامل ، وهذه الجملة توضِّح أنَّ المتنبي يتعجب من الرجل الكامل حالة كونه ينبو كالسيف الكليل على الرغم من كماله . وعلى الرغم من أنَّ بعض النحاة يشيرون إلى أنَّ المضارع المثبت المجرد من (قد) ، و (إذَنْ) لا تجوز معه الواو[١٨٣] ، نحو قوله تعالى : ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[١٨٤] وقول الحطيئة :

متى تأته ، تَعْشُو إلى ضوءِ نَارِه ... تَجِدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقِد

على الرغم من ذلك ، فإنَّ جملة (ينبو) في قول المتنبي جاءت بالواو ؛ لإفادة الرَّبْط في المعنى ، والإشارة إلى أنَّ المعنى على استئناف الإثبات في الجملة الأولى ؛ ومن ثَمَّ الاتصال بينهما ، وليس هذا على سبيل القطع ، فالجملة ليست استئنافيةً ، ولا هي خبرٌ لمبتدأ محذوف تقديره : وهو ينبو ، فالضمير المستتر في الفعل (ينبو) يعود على (مَنْ) مراعاةً للَّفظ - وهو ما جعل الرَّبْط أشدَّ من الواو

وحْدَها - ولا حاجة لتقدير مبتدأ ، وذلك لأنَّ مالا يحتاج إلى تقدير أولى ممّا يحتاج إلى تقدير . هذا بالإضافة إلى أنَّ وجود الواو هنا له علاقةٌ بالنَّسْج الشِّعْريّ ، فالبيت من الوافرِ ، ووزنه وتقطيعه هكذا :

عَجِبْتُ لِمَنْ / لَهُو قَدّن / وحدّن وَيَنْبُو نَبْ / وَتَلْقَضِلْ / كَهَامِى

مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلْتُن فعولن مُفَاعَلْتُن مُفَاعَلَتُن فعولن

ومن خلال ذلك يتضح لنا أنَّ الإتيان بواو الحال على النحو الذي بُيِّن قد مكّن الشَّاعر من تحقُّق التفعيلة الأولى المعصوبة في الشطر الثاني (مُفَاعَلْتُن) بتسكين الخامس المتحرك ؛ ومن ثَمَّ استقامة الوزن وصحّة القافية في مكانها برَويِّها المراد ، وفيما سبق ما يشير إلى التماسك على مستوى البيت ، ومن ثَمَّ النَّص ، أي الاستمرارية في ظاهر النَّص ، ومن ثَمَّ الاستمرارية الدلالية في عالم النَّص .

ثانياً - الرَّبْط بالواو والضمير في الجملة الاسمية الحالية :

جاءت الجملة الاسمية الحالية المربوطة بالواو والضمير في كافوريات المتنبي متخذةً ثلاثة أنماط ، الأول بعد (إلاّ) ، والثاني مُصدَّرةً بضمير صاحبها ، والثالث بدون (إلاّ) ، وليستْ مُصدَّرةً بضمير صاحبها ، لكن تقدم فيها الخبر على المبتدأ في بعض المواضع ، وكلُّ ذلك في أربعةٍ وعشرين موضعًا[١٨٥] ، على النحو التالي :

النمط الأول :

ينحصر هذا النمط في مجيء الجملة الاسمية الحالية بعد إلاّ ، وقد جاء في أربعة مواضع ، تقدم فيها الخبر على المبتدأ في موضعين منها ، نحو قوله[١٨٦] :

(من الطويل)

وَمَا رغبتى فِي عَسْجَدٍ أَسْتَفِيدُهُ ... وَلَكِنَّهَا فِي مَفْخَرٍ أَسْتَجِدُّهُ

يَجُودُ بِهِ مَنْ يَفْضَحُ الجُودَ جُودُهُ ... وَيَحْمَدُهُ مَنْ يَفْضَحُ الحَمْدَ حَمْدُهُ

فَإِنَّكَ مَامَّرَ النُّحُوسُ بِكَوْكَبٍ ... وَقَابَلْتَهُ إِلاَّ وَوَجْهُكَ سَعْدُهُ

وفيها يقول المتنبي في نهاية مَدْحه لكافور واستنجاز وعْده في إحدى القصائد : ليست رغبتي في المال ، ولكن رَغبتي في استفادة الفَخْر واستجداد الشرف ، يجود بهذا الفخر مَنْ جوده يفضح كلَّ جود ، يعني كافوراً ، ويحمده على هذا الجود مَنْ حَمْده يفضح كلَّ حَمْد ، يعني نفسَه ، أنت أجود الملوك وأنا أبلغ الشُّعراء وأفصحهم ، وفي البيت الأخير يقول : لو أنَّ كوكبًا من الكواكب أصابه نحسٌ ، وقابلتَه أنت لسعد ذلك النَّجم بسعادتك ، وخرج النَّحس من غير أنْ يؤثِّر فيه بنحوسته ، يعني أنَّ مَن أتاك سَعد بقُرْبك ، وظهر عليه إقبالك ، فيرجع غنيًا مسروراً[١٨٧] . وفي البيت الأخير من هذه الأبيات نلاحظ أنَّ جملة (وَوَجْهُكَ سَعْدُهُ) جملةٌ اسميةٌ خبريةٌ مثبتةٌ حاليّةٌ من ضمير المخاطب في (قابلته) ، مربوطةٌ بصاحب الحال - تاء الفاعل في قابلتِه - بالواو والضمير المضاف إليه المبتدأ (وجه) ، وقد جاءت بعد (إلاّ) الاستثنائية ، التي تفيد الإيجاب . ولمّا كان ذلك كذلك ، فإنَّه يمكن الإشارة إلى أنَّ الضمير هنا واجبٌ والواو جائزةٌ[١٨٨] ، لكن اجتماع الواو والضمير أكثر من الورود بالضمير فقط ، وهذا ما يؤيده الإحصاء على مدار البحث ، وما يؤيده أيضًا القرآن الكريم ، نحو قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَهلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾[١٨٩] .

لكن مجيء الواو هنا فيما نحن بصدده من تحليل لا يخلو من فائدة كما يرى عبد القاهر على نحو مّا تقدم ، فلمّا كان الحال خبراً في الحقيقة ، وجيء به لإثبات معنى لصاحب الحال كما نثبته لخبر المبتدأ ، مع ملاحظة أنَّ الحال جيء به لزيادة المعنى في الإخبار عن صاحب الحال بالهيئة الوارد بها ، فإنَّ المعنى بالواو هنا على إثبات المعنى الأول ، وهو مُرور كوكب من الكواكب ، أصابه نَحْسٌ ، قد قابله كافور ، ثم استئناف إثبات المعنى الثاني ، وهو سعادة ذلك النجم بوجه كافور ، وقد جيء به أيضًا بعد (إلاّ) الاستثنائية التي تفيد الإيجاب لإفادة هذا الأمر ، وعدم نفيه ، ثم كان الضمير العائد على صاحب الحال في (وجهك) لزيادة تمكين الرَّبْط ؛ ومن ثم حُسْن السَّبْك والحَبْك .

ولا يخفى علينا أيضًا أنَّ وجود الواو قد أسهم في توافُق النظام النَّحويّ مع النَّسْج الشِّعْريّ فتحققت التفعيلة الثالثة من عجز البيت (ووجه = فَعُولُ) ؛ ومن ثَمَّ استقام الوزن ، وصَحّت القافية ، وهو ما أسهم فيه أيضًا التركيب الذي جاءت عليه الجملة الحالية ، فلو قال : وسعده وجهك ، لَمَا استقام الوزن ولَمَا صحّت القافية . ولا يعدُّ من نافلة القول الإشارة إلى أنَّ هذه الجملة الحالية قد جاءت بهذا الترتيب على الرغم من جواز الترتيب المعتاد ؛ وذلك لانتفاء اللَّبس في هذه الحالة ، والدلالة على تمكين الحُكم المستفاد من الخبر للمبتدأ أو تقويته ، أي أنَّه يقرِّر ويقوِّي أنَّ سعد الكوكب يكمُن في رؤية وجه كافور ، المحكوم عليه بالسَّعْد المستفاد من الخبر .

النمط الثاني :

نأتي إلى النمط الثاني ، وهو الجملة الحالية ، التي جاء فيها المبتدأ ضميرًا لصاحب الحال ، فأشير إلى أنَّ هذا النمط جاء في اثني عشر موضعًا ، نحو قوله [١٩٠] :

(من البسيط)

إنِّي أُصاحِبُ حِلْمي وَهْو بي كَرَمٌ ولا أُصَاحِبُ حِلْمي وَهْوَ بي جُبُنُ

وفي هذا البيت يقول المتنبي : «أحلمُ مادام الحلم مُنَّي منسوبًا إلى الكرم ، فأمّا إذا كان منسوبًا إلى الذُّلِّ والجُبن لم أصبر عليه» [١٩١] . ويلاحظ أنَّ بالبيت جملتين اسميتين مثبتتين حاليتين ، هما جملة (وَهْو بي كَرَمٌ) حيث جاءت حالاً من المفعول به (حِلْمي) في صدر البيت ، وجملة (وَهْوَ بي جُبُنٌ) حيث جاءت حالاً من المفعول به (حِلْمي) في عجُز البيت ، وذلك في قصيدته ،التي قالها - كما أشرنا من قبل - بمناسبَة علْمه أنَّ قومًا نَعَوه في مجلس سيف الدولة بحلب ، ولم ينشدها كافورًا .

وقد لوحظ أنَّ كلتا الجملتين جاءت مربوطةً بصاحبها بالواو والضمير (هو) ، ولَمّا كانت كلتاهما مُصدَّرةً بضمير صاحبها ، فقد وجبت الواو ، حيث إنَّه إذا «كان المبتدأ من الجملة ضمير ذي الحال ، لم يصلح بغير الواو البتة ، وذلك كقولك : جاءني زيدٌ وهو راكبٌ ، ورأيت زيدًا وهو جالسٌ . . . فلو تركت الواو في شيء من ذلك لم يصلح ، فلو قلت : جاءني زيدٌ هو راكبٌ . . . لم يكن كلامًا» [١٩٢] .

وفي كلتا الجملتين الحاليتين نلاحظ أنَّ وجود الواو رابطةً قد أفاد إثبات المعنى الأول وهو اتصافه بالحلم أو عدم صَبْره عليه ، ثم استئناف إثبات المعنى الثاني ، وهو صَبْره على الحلم حالة كونه منسوبًا إلى الكرم ، وعدم صبره عليه حالة كونه منسوبًا إلى الجُبن والذُّلِّ ، كما أنَّ الضمير مكّن الرَّبْط وقوّاه بكونه حلقة وصْل بين المفاهيم في البيت ، أعني بين الحلم في صدر البيت وعجزه ، وبين جملة الحال المبيِّنة لهيئة الحلم في الصدر والعجُز أيضًا ، فتحقَّق السَّبْك في ظاهر النَّص ؛ ومن ثَمَّ الحَبْك في عالمه .

وليس هذا فحسب ، فممّا لا شك فيه أنَّ وجود الواو في الموضعين قد مكّن النظام النَّحويّ من التوافق مع النَّسْج الشِّعْريّ ، فالبيت من البسيط ، ووزنه وتقطيعه هكذا :

إنِّي أصَا/ حِبُحِلْ/ مِي وهْوَبي / كَرمُو وَلاأُصَا/ حِبُحِلْ/ مِي وَهْوَبي /
جُبُنُو

مستفعلن فَعِلُن مستفعلن فَعِلُن مُتَفْعِلُن فَعِلُن مستفعلن فَعِلُن

ومن خلاله يتضح أنَّ العروض صحيحةٌ مخبونةٌ وكذلك الضرب ، وأنَّ الواو في الموضعين قد أدت إلى تحقُّق (مستفعلن) قبل العروض وقبل التفعيلة الأخيرة في عجُز البيت حيث إنَّها أفادت تحقُّق الحركة من السبب الخفيف الثاني ، ومكّنت الشَّاعر من تسكين الهاء في قوله (وهْوَ) ؛ ومن ثَمَّ تحقَّق ساكن السبب الخفيف الثاني ، وهو ما أدى إلى استقامة الوزن وصحّة القافية ؛ ومن ثم تآزُر النِّظام النَّحويّ مع النَّسْج الشِّعْريّ ، وهو ما حدث في كلِّ مواضع هذا النمط ، وفي كلِّ ذلك ما يسهم في حُسْن السَّبْك والحَبْك .

النمط الثالث :

أمّا عن النمط الثالث للربط بالواو والضمير في الجملة الاسمية الحالية في الكافوريات ، فهو أنَّ هذه الجملة ليست بعد (إلاّ) ، وليست مُصدَّرةً بضمير صاحبها ، وقد جاء هذا النمط في صورتين ، الأولى تقدَّم فيها الخبر (الظرف) جارًا

ومجروراً وظرف مكان ، أمّا الصورة الثانية ، ففيها جاء المبتدأ في موضعه مضافًا إليه ضمير صاحب الحال ، أو غير مضاف إليه ، لكنَّ الخبر يشتمل على هذا الضمير بالإضافة إلى واو الحال المتصدِّرة هذه الجملة ، وذلك في سبعة مواضع ، نحو قوله[١٩٣] (من الطويل)

أَبَى خُلُقُ الدُّنيا حَبيبًا تُديمُهُ ... فَمَا طَلَبي منْهَا حَبيبًا تَردُّهُ

وَأَسْرَعُ مَفْعُول فَعَلَتَ تَغَيُّرًا ... تَكَلُّفُ شَيءٍ في طبَاعكَ ضدُّه

رَعى اللهُ عيسًا فَارقَتْنا وَفَوْقَهَا ... مَهًا كُلُّهَا يُولَى بِجَفْنَيه خَدُّهُ

في هذه الأبيات يقول المتنبي : «كيف ترد عليك الأيّام حبيبك ، الذي فارقك؟ وهي لا تترك عليك حبيبك الذي هو معك ! إن الدُّنيا مطبوعةٌ على التغير والتنقُّل ، وإذا ساعدت بقرب حبيب ، لم تلبث أنْ تفرِّق بيننا وبينه ! وترجع إلى عادتها ، التي جُبلت عليها ، فأسرع شيءٍ انتقالا وأقربه زوالاً هو تكلُّف ما في طَبْعه خلافه . . . حفظَ الله عيسًا ، فارقتنا وفوقهن نساءٌ يبكين لفراقنا ، فتجري دموعهن على خدودهن مرةً بعدَ مرة ، فكأنَّ خدَّ كلِّ واحدة منهن يسقي وليًا بعد وسْميٍّ من سحابة جفْنَيْها ، تأسُّفًا علَى الفراق»[١٩٤] ، وذلكَ في سياق مَدْحه لكافور - كما أشرتَ من قبل - واستنجاز وعْده .

وما يهمُّنا في هذا الموضع أنَّ الشَّاعر قد أتى في البيت الأخير بجملة اسمية حاليّة ، هي قوله : (وَفَوْقَهَا مَهًا) ، وهي حالٌ من الضمير المستتر في (فارقتنا) العائدَ على (العيْس) ، مبيِّنةً أنَّ العيس وقت فراقها كانت حالة كون النساء فوقها ، يبكين ، يتَّصفن بجريان الدموع علَى الخدود مرةً بعد مرة . وقد رُبطت هذه الجملة بصاحبها بالضمير في (فوقها) المطابق لصاحبه ، بالإضافة إلى واو الحال أيضًا ، على الرغم من أنَّه يجوز الاكتفاء هنا بالضمير[١٩٥] ، حيث إنَّها ليست بعد إلاّ وليست مُصدَّرةً بضمير صاحبها ، فيجوز له أنْ يقول : رعى الله عيسا فارقتنا فوقها مها ، غير أنَّ الشَّاعر أراد أنْ يكون لكلٍّ من الواو والضمير دورٌ في حُسْن السَّبْك والحَبْك في البيت ؛ ومن ثَمَّ النَّص .

والملاحظ أنَّ الخبر (فوقها) قد تقدم على المبتدأ (مها) جوازًا (١٩٦) ؛ لكون المبتدأ النكرة قد خُصِّص بوصف مخصِّص ، حيث إنَّ البنية الأساسية للجملة هي : وَمَهًا كُلُّهاُ يـولَى بجَفْنَيه خَدُّهُ فَوْقَهَا ، فالمبتدأ النكرة نُعت بجملة (كلُّها يُولَي بجَفْنيه خدُّه) ، والتي سوّغت الابتداء بهذه النكرة ، وبذلك يكون قد دخلها عنصر تحويل بتقديم الخبر (شبه الجملة) لغرض دلاليٍّ ، وهو أنَّ الشَّاعر يريد التحديد المكانيَّ لوجود النساء بالنسبة للعيس ، بالإضافة إلى التخصيص ، حيث إنَّ «حروف الجر وأسماء الشرط وحروف العطف وأسماء الاستفهام ، يستعين بها العقل لإفادة بعض العلاقات المنطقية ، كفكرة الكمِّ و الزَّمان والمكان وغير ذلك»(١٩٧) . فلمّا كان في كلام العرب الشعر المقفّى والكلام المسجوع ، «وهما في حاجة إلى لون من التصرُّف في القول بحكم الصنعة مع الدلالة في الوقت نفسه على ضروب أُخر من المعاني لا يفيدها الترتيب المألوف»(١٩٨) ، فقد اشترك إحكام الصنعة – منْ أجل حُسْن السَّبْك والحَبْك – مع الدلالة على المعنى المُشار إليه آنفًا في الترتيب على النحو الذي وردت به الجملة ، وبيان ذلك أنَّ البيت بهذا الترتيب قد تحققت فيه العروض (وفوقها = مفاعلن) ، وهو ما لا يمكن تحقيقه إذا جاء بالترتيب الأساسيّ للجملة ، وهو ما يمكن القول معه إنَّ النِّظام النَّحويّ بجواز التقديم هذا ووجود واو الحال والضمير قد توافَق مع النَّسْج الشِّعْريّ ؛ ومن ثَمَّ بدا دور كلٍّ ذلك في السَّبْك والحَبْك واضحًا .

وبعد هذا العرض أرى أنَّه من المفيد بمكان الإشارة إلى أنَّ وجود واو الحال هنا في جملة (وفوقها مَهًا) وفي بقية المواضع(١٩٩) في الكافوريات لا يتوافق مع ما قاله القاهر ، إذ يقول : « فإنْ كان الخبر في الجملة من المبتدأ والخبر ظرفًا ، ثم كان قد قُدِّم على المبتدأ ، كقولنا ، عليه سيف ، و «في يده سوط» ، كَثُر فيها أن تجيء بغير واو»(٢٠٠) ؛ وذلك لأنَّ المواضع المشار إليها قد جاءت بالولو للغرض الدلاليّ المُشار إليه آنفا على مدار التحليل ، حتى حَسُن السَّبْك والحَبْك على الصُّورة التي وردت بها الكافوريات .

وعلى الرغم من أنَّ عبد القاهر قد أشار إلى أنَّ تَرْك الواو ربما يجيء - وهذا مستفادٌ من قوله (قد) و (لا يكثر) - فيما ليس الخبر فيه متقدِّمًا على المبتدأ ، وذلك في قوله : «وقد يجيء تَرْك الواو فيما ليس الخبر فيه كذلك ، ولكنه لا يكثر ، فمن ذلك قولهم : «كلَّمته فوه إلى فيْ» و «رجع عودُه على بدئه» في قول مَنْ رفع»[٢٠١] ، على الرغم من ذلك ، فإنَّه تجدر الإشارة إلى أنَّ بقية المواضع[٢٠٢] والخاصة بالصورة الثانية من هذا النمط قد وردت بالواو ، وهو ما يدلُّ على أهميتها في المعنى بالنسبة للشَّاعر ، ودورها في السَّبْك والحَبْك ، أي في إحكام البنية وتماسكها ، حيث إنَّ «الشعراء - وخاصة المجيدين منهم - لا يُقْدمون على شيءٍ دون أنْ تكون له دلالةٌ خاصة»[٢٠٣] ، وذلك نحو قوله[٢٠٤] : (من الخَفيف)

هَـــذه دَوْلَـةُ المَكَـارِمِ والـــــرأ ... فَـــةُ وَالمَجْـــدِ والنَّدَى والأيَـادي

كَسَفَتْ سَاعَةً كما تَكْسِفُ الشَّمْـ ... ـسُ وَعَـــادَتْ وَنُورُهَا فِي ازْدِيَـادِ

فهذان البيتان من قصيدة المتنبي ، التي أنشدها بمناسبة الوَحْشة التي جرت بين كافور ومولاه ، لمّا شَعُر (أنوجور) مولى كافور أنَّه جاوز سنّ الرُّشد ، وبأنَّه من حقِّه أنْ يقبض على أزمة الحُكم ، وزيّن له بعض المتصلين به أَنْ يتنكر لكافور ، فأنكر كافور ذلك عليه ، وطالبه بتسليمهم إليه ، فجرت بينهما وَحْشة أيّامًا ، ثم سلَّمهم إليه ، فقتلهم ، واصطلحا ، فطولب أبو الطيب بأنْ يذكر الصُّلح[٢٠٥] ، فقال هذه القصيدة ، مبتدئًا إيّاها بقوله :

حَسَمَ الصُّلْحُ مَا اشْتَهَتْهُ الأعَادِي ... وَأَذَاعَـــتْـــهُ أَلْسُنُ الحُـــسَّـــادِ

وذلك إلى أنْ يأتي للبيتين اللذين معنا ، وفيهما يخاطب كافورًا ومولاه ، قائلاً : دولتكما دولة هذه الأشياء (المكارم المتقدم ذكرها في الأبيات السابقة على هذين البيتين) ، فإذا وقع في هذه الدولة خللٌ اختلت هذه الأشياء ، وإذا سَلمت ، سَلمَتْ هذه الأمور . وهذه الدولة كسفت ساعةً لمخالفتكما كما تَكْسف الشَّمس ، ثم زالَ الكُسُوف عنها فعاد نورها ، وزاد على ما كان من قبل[٢٠٦] .

ولمّا كان المعنى كذلك ، فبناءً عليه يمكن الإشارة إلى أنَّ البيت الثاني قد اكتنف جملة (ونُورُها في ازْديَاد) ، وهي جملةٌ خبريةٌ مثبتةٌ حاليّةٌ من الضمير في (عادت) ، العائد على الشَمس ؛ أي أنَّ الكسوف لمّا زال عن الدولة كما يزول عن الشَّمس ، عادت هذه الدولة إلى أوج ازدهارها ، وحالتها ازديادٌ للنور على ما كان علي . وقد لوحظ على هذه الجملة أنَّ الخبر ليس مقدَّمًا على المبتدأ ، وليس ظرفًا ، وليس المبتدأ ضمير صاحب الحال ، لكنَّه مضافٌ إلى ضمير صاحب الحال ، وهو ما سوَّغ الابتداء بالنكرة ؛ ولذلك فإنَّ الواو فيه ليست بواجبة ، بل جائزة ، فيجوز له أنْ يقول : وعادت نورها في ازدياد ، لكنه آثر المجيء بالواوِ لغرض دلاليٍّ ، ولفَضْل تعلُّق بالبلاغة . على حد قول عبد القاهر [٢٠٧] - وهو أنَّه أراد أنْ يستأنف بجملة الحال خبرًا ، غير قاصد إلى أنْ يضمها إلى الفعل قبلها في الإثبات ، ممّا يدلُّ على أنَّ نور هذه الدولة موجودٌ ، لا يغيب ، على الرغم من الخلاف بين كافور ومولاه ، ولكنه (النور) ازداد لمّا زالت أسباب الخلاف ، وتصالحا ، فلمّا كان المعنى على استئناف إثبات هذا المعنى ، احتيج إلى ما يربط جملة الحال بالجملة قبلها ، المكتنفة لصاحب الحال .

ولم يقتصر الأمر على وجود الواو مع الضمير جوازًا في هذه المواضع ، بل جاءت في بقية المواضع [٢٠٨] لغرض دلاليٍّ ، يتصل بقَصْدية حُسْن السَّبْك والحَبْك ، وهو الأمر الذي يؤكِّد على أنَّ «الأسلوب في القصيدة يعتمد على مبدأ الاختيار ، فأعراف اللغة تضع أمام المبدع جملةً من الاحتمالات لقول الشيء نفسه بطريقة صحيحة ، وعليه أنْ ينتقي من هذه الاحتمالات أوفرها دقةً ، وأكثرها مواءمةً للسياقِ ، ولبنيةِ العمل ككل ، وفي هذه المواءمة كثيرًا ما ينتقل باللغة الشِّعْريّة من مستوى الصحّة ، الذي تفرضه الأعراف اللغوية إلى مستوى الجمال ، الذي يفترضه الأسلوب الأدبيّ ، كما أنَّ في مبدأ الاختيار ، الذي يعتمد عليه ما يمنح دارس العمل الشِّعْريّ مساحةً عريضةً ، يتحرك فيها لكي يحدِّثنا عن سرِّ هذا الاختيار وطبيعته ووظيفته» [٢٠٩] .

وها نحن تناولنا سرَّ هذا الاختيار وطبيعته ووظيفته ، وفي إطار ذلك أشير أيضًا إلى إسهام هذه الواو كسابقتها على مدار البحث - في تمكين النظام النَّحويّ من توافُقه مع النَّسْج الشِّعْريّ ، فالبيت من الخفيف ، ووزنه وتقطيعه هكذا :

كَسَفَتْ سَا / عَتَنْكَمَا / تَكْسِفُشْشَمْ سُوَعَادَت / ونُورُها / فِزْدِيادِي

فَعِلاَتن مُتَفْعِلُن فاعلاتن فَعِلاَتن مُتَفْعلن فاعلاتن

وهو ما يتضح من خلاله أنَّ وجود الواو قد أدّى إلى تحقُّق (متفعلن) المخبونة في عجُز البيت ؛ ومن ثَمَّ استقام الوزن ، وصَحّت القافية ، وهذا من مقتضيات لغة الشعر والمعنى النَّصي للقصيدة ، فالوزن والقافية - كما أشرنا آنفًا - جزءٌ من إنتاج هذا المعنى ، وليس لمجرد كون القصيدة عمودية فقط ، وهو الأمر الذي يؤكِّد على دور الرَّبْط بالواو والضمير ، مجتمعين أو منفردين في حُسْن السَّبْك والحَبْك ؛ ومن ثَمَّ الإفصاح عن العلاقة بين النَّحو والنَّسْج والدلالة في كافوريات المتنبي .

الخاتمة:

على الرغم من أنَّ البحث بصورته الكائنة - بما استلزم من جهد ملموس يلحظه القارئ الكريم - يعدُّ نتيجةً في حد ذاته ، وذلك في رأيي المتواضع ، فإنِّي سأعرض لأهم نتائجه ، مجملاً إيّاها في إيجاز ، تاركًا التفاصيل لثنايا البحث ، وذلك فيما يلي :

- لمّا كانت دراسة الرَّبْط عند القدماء عن بعض الإشارات المبثوثة في ثنايا الأبواب النحوية ، دون التنظير له في جزء مستقل ، فإنَّ ذلك لا ينفي أنَّهم قد أدركوا قيمته أو لم يقفوا على أهميته باعتباره عنصرًا من عناصر التماسك بين أجزاء الجملة ؛ ومن ثَمَّ السَّبْك في ظاهر النَّص ، والحَبْك في عالمه ، وإلاّ لمَا وضعوا شروطًا لجملة الحال والصفة والموصول والخبر ، ومن بينها الاشتمال على رابط ، ومن بين الرَّوابط الضمير العائد ، والواو في جملة الحال ، سواءٌ أكانت بمفردها أم معها الضمير ، ولمَا فصّلوا فيما يجب وما يجوز وما يُمْتنع فيه الرَّبْط .

- في إطار بحث الرَّبْط بالضمير في الجمل بما هي خبرٌ عنه من حيث الرَّبْط والإحالة ، باعتبار أنَّ الضمير عنصرٌ إحاليٌّ تبين أنَّه عامل تهذيب في اللغة وداعية ثراء وافتنان في التعبير ، وعونٌ على الإيجاز ، وإقامة المباني النحوية أو ما يُسمى بالاعتماد النحويّ ؛ ومن ثَمَّ الإسهام في تآزُر النظام النحوي مع النَّسْج الشعريّ في الكافوريات .

- لوحظ كثرة الرَّبْط بالضمير في الكافوريات ، وتفوُّقه على غيره من الرَّوابط اللفظية ، وبخاصة الرَّبْط بالضمير المستتر ، وذلك مرجعه اعتماد المتنبي في لغته على الإيحاء ، وتبيّن أنَّ كون الرَّابط ضميرًا مستترًا تقديره (هو) أو (أنا) أو (هي) أو (أنت) وغير ذلك مرتبطٌ بسياق الحديث الذي يتناوله المتنبي ، فعلى سبيل المثال عندما يكون الحديث عن نفسه مصوِّرًا وجدانياته من حيث ثقته بنفسه وإثبات ذاته وإبائه وسمو همّته ، وبثِّ العبرة والحكْمة من تجاربه - أو جماعة المتكلمين ، فإنَّه يعبِّر بالفعل المضارع ؛ ومن ثَمَّ يكونَ الرَّابط الضمير المستتر (أنا) أو (نحن) أو (هو) أو (هي) ، وعندما يدور سياق الكلام حول مخاطبة الشاعر لمخاطَب ما ، قد يكون كافورًا أو فاتكًا أو غيرهما ، فإنَّ الرَّابط يكون تاء الفاعل للمخاطَّب أو الضمير المستتر (أنت) . . . إلخ ، وهو ما ترتب عليه الاتصال بين المفاهيم في النَّص ، أعني مفهوم الجملة المكتنفة للرَّابط وما يعود عليه .

- تبين أنَّ الجملة الحالية المكتنفة للرابط في الكافوريات جاءت متوافقةً مع ما قعّده النحاة ، فكانت خبريةً غير تعجُّبيّة ، مجردةً ممّا يدلُّ على الاستقبال ، نحو السين وسوف ولن ، مخصِّصةً لوقوع مضمون عاملها بوقت مضمون الحال . ولمّا كانت الجملة كلامًا مستقلاً بنفسه مفيداً لمعناه ، كان لابدَّ في الجملة الحالية ممّا يعلّقها ، ويربطها بما قبلها ، لئلا يُتَوهم أنَّها مستأنفةٌ ؛ ومن ثَمَّ كان الضمير رابطًا في قسمٍ كبير من الجمل الحالية ، وأصبحت جملة الحال جزءًا غير إسناديٍّ من أجزاء جملتها .

- جاء الرَّبْط بالضمير فقط ، أي بدون الواو في الجملة الفعلية الحالية ذات المضارع المثبت ، غير المسبوق بقد ؛ وذلك لأنَّ المضارع على وزن اسم الفاعل لفظًا وبتقديره معنى ، وهو ما انسحب على الفعلية ذات المضارع المنفي بحرف النفي (لا)

- وهو ما ورد في الكافوريات دون المنفي بلم أو (ما) - فكما لا تدخل الواو على اسم الفاعل فكذلك ما أشبهه . وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أنَّ النُّحاة يجعلون المضارع المنفي بحرف النفي (ما) ضمْن المواضع التي يُمْتنع فيها الرَّبْط بالواو ، لكن هذا الأمر فيه نظرٌ ، فالقرآن الكريم قد جاءت فيه الجملة الحالية ذات المضارع المنفي بحرف النفي (ما) مربوطةً بالواو مع الضمير ، وفي مواضع أُخر غير مربوطة بالواو ؛ ومن ثَمَّ ينبغي على النُّحاة العدول عن إدراج هذه الحالة ضمن الحالات التي يُمتنع فيها الرَّبْط بالواو ، ويتعين الرَّبْط بالضمير ؛ ومن ثَمَّ العدول عن هذا داخل قاعات الدرس في تدريسنا النَّحو العربي لأولادنا .

- على الرغم من أن النحاة قد أوجبوا في الماضي المثبت المتصرِّف الواقع حالاً أنْ يكون مسبوقا بقد ظاهرةً أو مقدَّرةً ، لمناقضته للحال في الظاهر ؛ ومن ثَمَّ تقريبه للحال ، فإنَّ وجود الضمير العائد في هذا الفعل يجعل من وجود (قد) والواو قبله وجودًا جائزًا ؛ ومن ثَمَّ فلا يُشْترط في هذا النمط من الحالية وجود (قد) قبل الماضي المثبت ولاسيّما أنَّ القرآن الكريم قد جاء بهذا الاستعمال ، أي بدون (قد) في مواضعَ كثيرة ، وهو أفصح الكلام ، فمن اللَّجاجة أنْ ننكره ، أو نتلمس له تخريجًا آخر ، أو نجعلَ الكلام على تقدير محذوف .

- اتَّضح أنَّ مواضع ربط الجملة الاسمية الحالية بالضمير قليلةٌ إذا ما قورنت بمواضع ربطها بالواو والضمير معًا ؛ وذلك لأنَّ الرَّبْط بالواو والضمير أشدُّ تمكُّنًا من الرَّبْط بأحدهما فقط ، ولم يُحْذف الضمير الرَّابط في الاسمية الحالية إلا في موضع واحد ، وهو ما يمكن القول معه إنَّ عناصر التفكير الفني قد تجلت في لغة المتنبي في الكافوريات ، وأنَّ كل ذلك أسهم في إقامة النَّسْج الشعري ؛ ومن ثم حُسْن السَّبْك والحَبْك ، وهو ما ينسحب على بقية أنماط الرَّبْط بالضمير في الجملة الحالية بالإضافة إلى جملة الصفة والصلة والخبر على نحو ما وضِّح آنفًا على مدار البحث . وفي هذا الصدد أشير إلى أنَّ شيوع حَذْف الرَّابط في جملة الصِّلة كان في حالة كون الضمير مفعولاً به ؛ وذلك للتخفيف والاختصار ، حتى عُدَّ هذا النوع من الحذف ضمن ما

يسمى بالحذف اختصارا للمفعول به ؛ ومن ثم أسهم في استقامة الوزن وصحّة القافية ، أضف إلى ذلك غايةً أخرى ، وهي إشراك المتلقي مع المبدع بإعمال ذهنه في الكشف عن المحذوف من أجل تشكيل المعنى .

- وفيما يخص الرَّبْط بالواو يمكن الإشارة إلى أنَّه لمّا كانت الحال فضلةً ، تأتي بعد تمام الكلام فقد احتيج إلى فَضْل ربط ؛ ولذلك صُدِّرت بما هو موضوعٌ للرَّبط ، أي بواو الحال ؛ لتؤذن من أول الأمر أنَّ الجُملة لم تبقَ على الاستقلال ، وهو ما ترتب عليه حُسْن السَّبْك والحَبْك في الكافوريات .

- ووصلاً بذلك يمكن القول : على الرغم من أن بعض النحاة قد أشاروا إلى أنَّ المضارع المثبت المجرد من (قد) و (إذَنْ) لا تجوز معه الواو ، فقد جاءت الجملة الفعلية ذات المضارع المثبت ، المجردة من (قد) ومربوطة بصاحب الحال بالواو ؛ وذلك لغرض دلاليٍّ مضمونه الإشارة إلى أنَّ المعنى على استئناف الإثبات في الجملة الأولى ؛ ومن ثَمَّ الاتصال بين جملة الحال وجملة الصاحب ، وهو ما ينتفي معه القول بأنَّ جملة الحال استئنافيةٌ ، أضف إلى ذلك الرَّبْط بالضمير مع الواو لتقوية الرَّبْط .

- لوحظ على مدار البحث كثرة الرَّبْط في الجملة الفعلية ، وذلك راجعٌ إلى أنَّ الاسم يقتضي الثبوت ، والفعل يقتضي التجدُّد والحدوث ، وهو ما يتناسب مع ما تناوله المتنبي في الكافوريات من موضوعات . ويتصل بذلك أنَّ الرَّبْط بالضمير كان في الجملة ذات المضارع المثبت والمنفي أكثر منه في الفعلية ذات الماضي المثبت والمنفي ، نتيجة لوجود نكتة دلاليّة في المضارع ، تتصل بالسَّبْك والحَبْك ، وهي التجدد وإفادة بقاء الأثر ، وذلك باستثناء الرَّبْط في جملة الصلة حالة كونها فعليةً ، حيث تفوق الرَّبْط بالضمير فيها حين كونها ذات فعل ماض على المضارع ، وذلك راجعٌ فيما أرى إلى أنَّ المتنبي في هذه التراكيب في الكافوريات كان يسرد لنا أحداثًا ، قد مضت ، ترتبط بمَن يعود عليه الاسم الموصول عاقلاً أو غير عاقلٍ .

- لمّا كان الرَّبْط قرينةً من القرائن النَّحوية ، التي هي مناط وضوح المعنى وأمْن اللَّبس ؛ ومن ثَمَّ يرتبط النحو بالنقد من حيث نَقْد الصِّحّة على مستوى الاستعمال

الأصوليّ ، ونَقْد أسلوب النَّص على مستوى الاستعمال العدوليّ ، فإنَّه تجدر الإشارة إلى أنَّ الرَّبْط بالضمير وحْدَه ، أو بالواو وحْدَها أو بالواو والضمير قد أسهم في تحقُّق الصِّحّة النَّحوية على المستويين ، الأصوليّ والعدوليّ .

- وبناءً على ما سبق يمكن القول إنَّه لمّا كان النَّص حدثًا تواصليًا ، يلزم لكونه نصنًا أن تتوافر فيه سبعة عناصر - على نحو ما وضِّح بالتمهيد - من بينها معيارا السَّبْك والحَبْك ، فإنَّ الرَّبْط موضوع البحث باعتباره جزءًا من قرينة الرَّبْط قد أسهم في حُسْن السَّبْك في ظاهر النَّص في الكافوريات ، فتحققت الاستمرارية المبنية على إقامة المباني النحوية ؛ ومن ثَمَّ تحققت الاستمرارية الدلالية (الحَبْك) ، فبدا المعنى واضحًا ، وأُحْكمت العلاقة بين أطراف التركيب ؛ ومن ثم النَّص ، صياغةً ومضمونًا ، فكان نصًا غير مترهل ، وعلى المتلقي أنْ يتلمس أمارات هذه الاستمرارية من خلال العلاقة بين النَّحو والنَّسْج والدلالة .

* * *

المصادر والمراجع

أولاً - المصادر والمراجع العربية :

القرآن الكريم ، برواية حفص عن عاصم .

د . إبراهيم عبد الرحمن محمد :

- من أصول الشعر العربي القديم « الأغراض والموسيقى ، دراسة نصية» ، مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد الثاني ، القاهرة ، ١٩٨٤م .

د . أحمد عبد الغفار عبيد :

- وجدانيات أبى الطيب المتنبي «دلالاتها وسماتها الفنية» ، الدار المصرية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٠م .

د . أحمد كشك :

- الزحاف والعلة « رؤية في التجريد والأصوات والإيقاع» ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٥م .

الأزهر الزناد :

- نسيج النَّص «بحثٌ فيما يكون الملفوظ به نصًا» ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ١٩٩٣ م .

الأشموني «نور الدين أبو الحسن على بن محمد» ت ٩٢٩ هـ :

- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، تحقيق د . عبد الحميد السيد ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، د . ت .

الأعشى «ميمون بن قيس» :

- ديوان الأعشى ، تحقيق د . محمد محمد حسين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٦٨ .

الأنباري « أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن الأنباري» ت ٥٥٧ هـ :

- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، تحقيق محمد محيى الدين ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، د . ت .

- البيان في غريب إعراب القرآن ، تحقيق طه عبد الحميد طه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

د . بكري عبد الكريم :

- الزمن في القرآن الكريم «دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه» ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠١ .

د . تمام حسان :

- الإفادة والعلاقات البيانية ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الخامس والستون ، القاهرة ، نوفمبر ١٩٨٩ .

- اللغة بين المعيارية والوصفية ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- اللغة العربية معناها ومبناها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣ .
- اللغة والنقد الأدبي ، مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٣ .
- وحدة البنية واختلاف الأنظمة ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء السابع والخمسون ، نوفمبر ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

الجاحظ «أبو عثمان عمرو بن بحر ، ت ٢٥٥ هـ» :

- البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

د . جميل عبد المجيد :

- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النَّصية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨ .

ابن جني «أبو الفتح عثمان بن جني ، ت٣٩٢ هـ» :

- الخصائص ، تحقيق الأستاذ محمد على النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٦ - ١٩٨٨ .

د . حسام البهنساوي :

- أنظمة الرَّبْط في العربية ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٣ .

د . حكمت صباغ الخطيب :

- في معرفة النَّص ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٤ .

د . حمزة النشرتي :

- الرابط وأثره في التراكيب العربية ، مجلة كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر بالمنوفية ، العدد السابع ، ١٩٨٧ .

أبو حيان : «أثير الدين أبو عبد الله بن حيان الأندلسي ، ت٧٥٤ هـ» :

- تفسير البحر المحيط ، دار الكتاب الإسلامي ، بالقاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٢ .

خالد الأزهري :

- شرح التصريح على التوضيح ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، د . ت .

د . رشيد بنجدو :

- العلاقة بين القارئ والنَّص في التفكير الأدبي المعاصر ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الثالث والعشرون ، العددان الأول والثاني ، يوليو / سبتمبر ، أكتوبر / ديسمبر ، ١٩٩٤ .

الرَّضي «رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي ، ت ٦٨٦ هـ» :

- شرح الرَّضي على الكافية ، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر ، جامعة قاريونس ، بنغازي ، ليبيا ، ط٢ ، ١٩٩٦ .

الزمخشري « أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ، ت ٥٣٨ هـ» :
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الفكر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٥٤ هـ .

زهير بن أبي سلمى :
- ديوان زهير ، شرح أبي العباس ثعلب ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٤ ,

د . زين الخويسكي :
- الجملة الفعلية بسيطة وموسعة « دراسة تطبيقية على شعر المتنبي» ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٦ .

ابن السراج «أبو بكر محمد بن سهل بن السراج ، ت ٣١٦ هـ» :
- الأصول في النحو ، تحقيق د . عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط٣ ، ١٩٨٨ .

سعاد عبد العزيز المانع :
- سيفيات المتنبي « دراسة نقدية للاستخدام اللغوي » ، جامعة الرياض ، ط ١ ، ١٩٨١ .

د . سعد مصلوح :
- نحو أجرومية للنص الشعري «دراسة في قصيدة جاهلية» ، مجلة فصول ، المجلد العاشر ، العددان الأول والثاني ، يوليو / أغسطس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩١ .

د . سعيد حسن بحيري :
- من أشكال الرَّبْط في القرآن الكريم «تضافر العناصر الإشارية والعناصر الإحالية في تماسك النَّص» ، ضمن كتاب دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، د .ت .

سيبويه «أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، ت ١٨٠هـ» :
- الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

السيوطي «جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، ت ٩١١ هـ» :
- الأشباه والنظائر ، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٥ .
- همع الهوامع ، تحقيق أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٨ .

د . صبحي رشاد عبد الكريم :
- الصفة ، فائدتها وصورها ، مجلة كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر بالمنوفية ، العدد التاسع ، ١٩٨٩ ,

د . صبحي الفقي :
- علم اللغة النَّصي بين النظرية والتطبيق ، دار قباء للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .

د . طاهر سليمان حمودة :
- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، الدار الجامعية ، الإسكندرية ١٩٨٢ .

عباس حسن :
- النحو الوافي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٦ .
عبد الرحمن المطردي :
- أساليب التوكيد في القرآن الكريم ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، مصراتة ، ليبيا ، ط١ ، ١٨٩٦ .
عبد الستار عبد اللطيف أحمد :
- الحال في الأسلوب القرآني ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع ، طرابلس ، ليبيا ، ط١ ، ١٩٨٤ .
عبد القادر الرباعي :
- تشكيل المعنى الشعري ونماذج من القديم ، مجلة فصول ، العدد الثاني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤ ,
عبد القاهر الجرجاني «عبد القاهر بن عبد الرحمن ، ت ٤٩١ هـ» :
- دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٢ .
د . عبده بدوي :
- ظواهر أسلوبية في شعر المتنبي ، مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد الثاني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٤ .
د . عز الدين إسماعيل :
- جدلية الإبداع والموقف النقدي ، مجلة فصول ، المجلد العاشر ، العددان الأول والثاني ، يوليو ، أغسطس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩١ .
أبو العلاء المعري ، ت٤٤٩ هـ :
- شرح ديوان المتنبي «معجز أحمد» ، تحقيق ودراسة د . عبد المجيد دياب ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٢ .
العلوي « يحيى بن حمزة العلوي اليمني ، ت ٧٤٩ هـ » :
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، مراجعة وضبط محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٥ ,
د . على محمد هنداوي :
- الحال المنفية في الشعر الجاهلي « دراسة في النحو والدلالة » ، مجلة علوم اللغة ، المجلد السادس ، العدد الثالث ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ,
على النجدي ناصف :
- فلسفة الضمير ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء العشرون ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
د . فايز صبحي تركي :
- التضمين العروضي في الطويل وبناء شعر الأعشى « دراسة نصية في ضوء العلاقات النحوية الرأسية والأفقية » ، مجلة الثقافة والتنمية ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، يوليو ٢٠٠٣ .

- القضايا التركيبية في شعر الأعشى الكبير وعلاقتها بالدلالة في ضوء الدرس اللغوي الحديث ، رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٣ ,

د . فخر الدين قباوة :

- إعراب الجمل وأشباه الجمل ، دار الأوزاعي ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ١٩٨٦ .

الفراء «أبو زكريا يحيى بن زياد ، ت ٢٠٧ هـ» :

- معاني القرآن ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

د . فؤاد مرعي :

- في العلاقة بين المبدع والنَّص والمتلقي ، مجلة عالم الفكر ، العددان الأول والثاني يوليو - سبتمبر ، أكتوبر - ديسمبر ، الكويت ، ١٩٩٤ .

القزويني «جلال الدين أبو عبد الله بن سعد الدين القزويني ت ٧٣٩ هـ» :

- الإيضاح في علوم البلاغة ، تقديم د . على أبو ملجم ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٠ م .

ابن مالك « أبو عبد الله جمال الدين بن مالك ، ت ٦٧٢ هـ» :

- شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ ، تحقيق د . عدنان عبد الرحمن الدوري ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٩٧ .

المبرد « أبو العباس محمد بن يزيد ، ت ٢٨٥ هـ » :

- المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت لبنان ، د .ت .

د . محمد حماسة عبد اللطيف :

- بناء الجملة العربية ، مكتبة الشروق القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٠ .
- الجملة في الشعر العربي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٠ .
- العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث ، جامعة الكويت ، ١٩٨٣ .
- النحو والدلالة «مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي» ، مطبعة المدينة ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

د . محمد خليفة الدناع :

- دور الصرف في منهجي النحو والمعجم ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ليبيا ، ١٩٩١ .

د . محمد فتوح أحمد :

- جدلية النَّص ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الثاني والعشرون ، العددان الثالث والرابع ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٩٤ ,

محمد محيي الدين عبد الحميد :

- عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك ، بهامش أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٥ .

د . مصطفى الضبع :

- استراتيجية المكان ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٨ .

ابن هشام « جمال الدين بن هشام الأنصاري ، ت ٧٦١ هـ » :

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٥

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الشام للتراث ، بيروت ، لبنان ، د . ت .

ابن يعيش « موفق الدين يعيش بن علي ، ت ٦٤٣ هـ » :

- شرح المفصل ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، ١٩٩٠ .

ثانيًا - المراجع الأجنبية :

- Hallidy M.A.K and Ruqaiya Hasan .

- 1976 . Longman, London, Cohesion in English.

* * *

الهوامش

١ - د . عبده بدوي : ظواهر أسلوبية في شعر المتنبي ، مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد الثّاني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ١٩٥ ، ويُنْظَر أيضًا ص ١٩٦ .

٢ - د . عز الدين إسماعيل : جدلية الإبداع والموقف النقدي ، مجلة فصول ، المجلد العاشر ، العددان الأول والثاني ، يوليو ، أغسطس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص ١٤٦ ، ويُنْظَر : في معرفة النَّص ، للدكتورة : حكمت صباغ الخطيب ، ص ٥٧ .

٣ - يُنْظَر : مغني اللبيب ٢ / ٤٩٨ - ٤٩٩ ، والأشباه والنظائر للسيوطي ١ / ٣١١ - ٣١٢ .

٤ - أبو العلاء المعري : شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ، تحقيق ودراسة د . عبد المجيد دياب ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٩٩٢ ، ١ / ٩٧ حيث تقديم المحقق لشرح الديوان .

٥ - يُنْظَر على سبيل المثال : الكتاب لسيبويه ، ١ / ٨٤ - ٨٨ وتعليق السيرافي بهامش ١ / ٨٧ من الكتاب ، والمقتضب للمبرد ١ / ١٩ ، ٢ / ٦٥ - ٦٦ ، ٣ / ١٣٠ ، والجملة في الشعر العربي ، للدكتور محمد حماسة ، ص ١٨٥-١٩٦ ، ومن أشكال الرَّبْط في القرآن الكريم «تضافر العناصر الإشارية والعناصر الإحالية في تماسك النَّص» ضمن كتاب دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، للدكتور سعيد بحيري ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص ٧٧ ، وكذلك د . صبحي الفقي : علم اللغة النَّصيّ بين النظرية والتطبيق ١ / ١٢٥ - ١٣٣ ، إذ إنَّه تحدث عن نظرة القدماء للتماسك .

٦ - شرح الكافية ١ / ٩١ .

٧ - د . حسام البهنساوي : أنظمة الرَّبْط وقواعده في التراكيب السطحية العربية ، ص ٧ ، ويُنْظَر أيضًا ص ٨ .

٨ - يُنْظَر : د : تمام حسان : الإفادة والعلاقات البيانية ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الخامس والستون ، نوفمبر ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص ٤٥ وما بعدها وكذلك :

Hallidy M.A.K and Ruqaiya Hasan , cohesion in English , P,22

٩ - د . سعد مصلوح ، نحو أجرومية للنص الشِّعْريّ ، مجلة فصول ، المجلد العاشر ، العددان الأول والثاني ، يوليو ، أغسطس ، ١٩٩١ ، ص ١٥٤ ، نقلاً عن :

Robert Allin de Beaugrand and Wolfgong Ulrich Dresslar " Introduction to text

بالمطابقة في الشخص «المتكلم والخطاب والغيبة» أو في العدد « الإفراد والتثنية والجمع» أو في النوع « التذكير والتأنيث» أو في التعيين «التعريف والتنكير» . ويُنظَر أيضًا اللغة العربية معناها و مبناها . ص ٢١٣ - ٢١٦ ، وكذلك د . محمد خليفة الدناع : دور الصرف في منهجي النحو و المعجم ، ص ٢٨٣ - ٢٨٤ ، ٣٠٠ .

١١- د . تمام حسان : اللغة العربية و النقد الأدبي ، مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد الأول ١٩٨٣ ص ١٢١ ويُنظَر : من أشكال الرَّبْط في القرآن الكريم ص ٧٨ ، ٧٩ .

١٢- نحو أجرومية للنص الشِّعْريّ ، ص ١٥٤ .

١٣ - see : cohesion in English , p, 299-328, 393 ,596

١٤ - نحو أجرومية للنص الشِّعْريّ ، ص ١٥٤ ، ويُنْظَر : من أشكال الرَّبْط في القرآن الكريم ، ص ٩١ .

١٥- البيان والتبيين ١/ ٦٧ ، ويُنْظَر : د . جميل عبد المجيد : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النَّصية ، ص٧٧-٧٨ .

١٦- البديع في نقد الشعر ، ص١٦٣ ، والبيت من البسيط التام ، عروضه تامة مخبونةٌ ، وضربه كذلك . ويُنْظَر البيت في ديوان زهير ، بشرح ثعلب ، طبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٤٤ ، ص ٥٤ .

١٧- موقف النقد العربي التراثي من دلالات ما وراء الصياغة اللغوية ، ضمن كتاب (قراءة جديدة لتراثنا النقدي) العدد ٥٩ ، المجلد الآخر ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، ١٩٩٠ ، ص ٧٨٩ ، نقلاً عن البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النَّصية ص٧٨-٧٩ .

١٨- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النَّصية ص ٧٩ .

١٩- يُنْظَر : نحو أجرومية للنص الشِّعْريّ ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ .

٢٠- شرح المفصل ٥ / ٨٦ ، ٨٧ ، ويُنْظَر : من أشكال الرَّبْط في القرآن الكريم ، ص ٩٥ - ٩٦ .

٢١ - فلسفة الضمير ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء العشرون ، القاهرة ،١٩٦٦ ، ص ٢٤ - ٢٥ بترُّف يسير ، ٢٦ وأمالي ابن الشجري ٢/ ٦-٧ .

٢٢ - نسيجَ النَّص « بحثٌ فيما يكون الملفوظ به نصًا» ص ١١٥ ، ويُنْظَر : القضايا التركيبية في شعر الأعشى الكبير وعلاقتها بالدلالة للدكتور فايز تركي ، ص ١٥٩ .

٢٣ - يُنْظَر : المقتضب ٢ / ٦٥ - ٦٦ ، وشرح المفصل ٣ / ٦٧ - ٦٨ ، وعمدة الحافظ وعدة اللافظ ١ / ٤٤٤ - ٤٤٥ ، وشرح الرَّضيّ على الكافية ٢ / ٤٠ - ٤٦ ، وأوضح المسالك ٢ / ٣٠٦ - ٣١٣ ، وهمع الهوامع ٢ / ٢٤٩ - ٢٥٠ ، وشرح الأشموني ٢ / ٣٢٠ - ٣٣٥ ، والنحو الوافي ٢ / ٣٩٥ - ٣٩٩ ، والرَّابط وأثره في التراكيب العربية ، ص ١١ ، وفي هذا الصدد أشير إلى أنَّ النحاة في المصادر السابقة يجعلون المضارع المنفي بحرف النفي (ما) من المواضع التي يُمتنع فيها الرَّبْط بالواو ، لكن هذا الأمر فيه نظرٌ ، فالقرآن الكريم قد جاءت فيه الجملة الحالية ذات المضارع المنفي بما مربوطةً بالواو وبدون الواو ، فمن وروده مسبوقا بالواو قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ

وَمَا يَعْبُدُون إلاَّ الله﴾ الكهف : الآية ١٦ ، فجملة (وما يعبدون) مضارعيةٌ منفيةٌ بـ(ما) ، مسبوقةٌ بواو الحال ، فهي حالية في أحد الأوجه ، والتقدير : وإذ اعتزلتموهم غير عابدين إلاّ الله . و من عدم اقترانها بواو الحال قوله : ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاء مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللّهُ﴾ النحل : الآية ٧٩ ، فقوله (ما يمسكهن) جملةٌ حاليّةٌ غير مسبوقةٌ بواو الحال من الضمير في (مسخرات) أو من الطير ، وتحتمل الاستئناف ، لكن المُرجّح فيها الحالية لمناسبة المعنى ، وفي هذا ما يدلّ على أنَّ المضارع المنفي بـ(ما) الواقع حالاً تدخله الواو جوازا ، وهو ما يتطلب إعادة النظر في إدراج النحاة لهذه الحالة ضمن ما يُمتنع فيه الرَّبْط بالواو . يُنْظَر : الحال في الأسلوب القرآني لعبد الستار عبد اللطيف ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

٢٤ - يُنْظَر : شرح المفصل ١ / ٩٠ ، ٢ / ٦٣ ، ٦٦ ، ومغني اللبيب ٢ / ٥٦٦ ، وشرح التصريح ١ / ٣٨٨ .

٢٥ - شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ، الجزء الرابع ، ٢٢ / ٤ ، ٢٣ / ١٧ ، ٢٤ / ٢٢ ، ٢٥ / ٢٣ ، ٣٢ / ٤٧ ، ٥٠ / ٢٣ ، ٥١ / ٢٧ ، ٥٤ / ٣٥ ، ٣٧ ، ٦٢ / ١٥ ، ٧٤ / ٢ ، ٣ ، ٨١ / ٢٤ ، ٩٩ / ٣٣ ، ١٠١ / ٢ ، ١٠٢ / ٦ ، ٧ ، ١٠٦ / ١٩ ، ١١٠ / ٣٣ ، ١١٤ / ٤٥ ، ١١٨ / ١٣ ، ١٢٠ / ١٩ ، ١٢٧ / ٤ ، ١٢٨ / ٨ ، ١٣٨ / ١٢ ، ١٤٢ / ٣٠ ، ١٥١ / ١٧ ، ١٥٢ / ٢٠ ، ١٥٥ / ٢٨ ، ١٦٥ / ٢ ، ١٦٦ / ١ ، ١٧٣ / ٢٣ ، ١٨٦ / ١ ، ١٩٢ / ٧ ، ٢٠١ / ٣ ، ٢١٢ / ٢١ ، ٢٢ ، ٢٢٠ / ٢ ، ٢٢٦ / ٢٣ ، ٢٣٠ / ٣٨ وتجدر الإشارة إلى أنَّ الرقم الأول من هذه الأرقام يشير إلى رقم الصفحة بالشرح ، والثاني يشير إلى رقم البيت في القصيدة .

٢٦ - يُنْظَر : السابق ٣٠ / ٤٠ ، ٤٥ / ٨ ، ٤٧ / ١٤ ، ١٠٢ / ٦ ، ٤ ، ١٢٧ / ٥ ، ٢٠٩ / ١٤ ، ٢١٦ / ٣٤ ، ٢١٧ / ٣٧ ،

٢٧ - يُنْظَر : السابق ٢٣ / ١٨ ، ٢٩ / ٣٨ ، ٥٤ / ٣٦ ، ٥٥ / ٤٠ ، ٨٢ / ٢٧ ، ٨٩ / ٦ ، ١٤١ / ٢٤ ، ٢٥ ، ١٥٩ / ٤٣ ، ٢١٠ / ١٨ ، ٢١٢ / ٢٢ .

٢٨ - يُنْظَر على سبيل المثال الموضع ٢٠١ / ٣ صدد هجائه لكافور حيث يقول : (من الطويل)

أَعْدَتْ عَلَى مَخْصَاهُ ثُمَّ تَرَكْتُهُ يُتَبِّعُ مِنِّي الشَّمْسَ وَهْيَ تَغِيبُ

٢٩ - يُنْظَر على سبيل المثال الموضع ٢١٢ / ٢١ .

٣٠ - شرح الرضي على الكافية ، ٢ / ٤٣ .

٣١ - البيت من البسيط ، وهو لعلقمة بن عبدة ، وقتود الرحل : خشب الرَّحل وأدواته ، و«يسفعني» : يحرقني ، و«مسموم» : شديد الحرارة من ريح السموم الحارة ، وقديديمة : تصغير قدام .

٣٢ - دلائل الإعجاز ، ص ٢٠٥ .

٣٣ - شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ٢٢٥ ، ٢٢٦ / ٢٢ ، ٢٣ .

٣٤ - يُنْظَر : السابق ٤ / ٢٢٠ .

٣٥- يُنْظَر : شرح ديوان المتنبي ٤/ ٢٢٦ ,

٣٦- شرح الكافية ٢/ ٤٠ .

٣٧- شرح المفصل ٢/ ٦٩ .

٣٨ - يُنْظَر : أوضح المسالك ٢/ ٢٨٤ ، وهمع الهوامع ٢/ ٢٣٢- ٢٣٥ ، وشرح التصريح ١/ ٣٨ ، والنحو الوافي ٢/ ٣٦٤ هامش ٢ .

٣٩ - شرح المفصل ٢/ ٦٦ .

٤٠ - بناء الجملة العربية ، ص ١٣٥ .

٤١ - شرح الكافية ٢/ ٤٣ .

٤٢ - السابق نفسه .

٤٣ - شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ٢١١/ ٢٠ ، ويُنْظَر ١١٨/ ١٣ .

٤٤ - هذا في زمن كافور على حد قول أبي العلاء . أمّا الآن فشأن الفيوم شأن بقية محافظات مصر من حيث الاهتمام بصحة البيئة وصحّة الفرد .

٤٥ - شرح ديوان المتنبي ٤ / ٢٠٤ .

٤٦ - يُنْظَر : من أشكال الرَّبْط في القرآن الكريم ، ص ٨٦ ، والنحو والدلالة ، للدكتور محمد حماسة ، ص ١٨١ ، ونحو أجرومية للنص الشِّعْريّ ، ص ١٦١ ، ونسيج النَّص ، ص ١١٥ .

٤٧ - شرح ديوان المتنبي ٤ / ٢٠٧ .

٤٨ - السابق ٤ / ٢١٢ .

٤٩ - يُنْظَر : أوضح المسالك ٢/ ٣٠٩ ، وشرح الكافية ٢ / ٤٥ ، وهمع الهوامع ٢ / ٢٤٧ ، وشرح الأشموني ٢ / ٢٢٣ ، وشرح التصريح ١ / ٢٩٣ .

٥٠ - سورة البقرة ، الآية ١٧ . ويُنْظَر : الأنباري ، البيان في غريب إعراب القران ، ١ / ٦٠ ، والحال في الأسلوب القرآنيّ ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

٥١ - يُنْظَر : الإنصاف في مسائل الخلاف ١ / ٢٥٢ ، وشرح المفصل ٢/ ٦٩- ٧٠ ,

٥٢ - البحر المحيط ٦ / ٣٥٥ ، وذلك في تعليقه على الآية ١١ من سورة الحج .

٥٣ - الحال في الأسلوب القرآني ، ص ٢٥٧ .

٥٤ - شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ٢٠٨-٢٠٩/ ٩-١٤ ، وقد ذكرتُ هذه الأبيات كلَّها حتى لا أعذل الشاهد عن سياقه .

٥٥ - السابق ٤ / ٢٠٩ .

٥٦ - يُنْظَر : د . تمام حسان ، اللغة والنقد الأدبي ، ص ١٢٦ ، وقد أشار الدكتور تمام في هذا المقال إلى أنَّ النقد الأدبي لـه علاقةٌ بالقرائن النَّحويّة ، من بينها الرَّبْط ، والنقد إمّا نقد صحّة وإمّا نَقْد جمال ، والكلام في هذه القرائن من قبيل النوع الأول . . . .إلخ يُنْظَر : ص ١٢٦ - ١٢٧ .

٥٧- عبد القادر الرباعي : تشكيل المعنى الشِّعْريّ ونماذج من القديم ، ص ٥٥ .

٥٨- يُنْظَر : د . إبراهيم عبد الرحمن محمد ، من أصول الشعر العربي القديم لله الأغراض والموسيقى ، ص ٣٢ .

٥٩- شرح ديوان المتنبي ٤ / ٣٠ ومعنى تجوس : تدوس ، والعمائر : القبائل ، وقيل أراد بالعمائر الأرض العامرة ؛ ليطابق الفيافي . والمعنى : أنّها سلكت المفاوز والفلوات ، حتى وصلت إلى ديار الأعداء ، فوطئتها وأغارت عليها . يصف بعض غزواته ، وأنّه يقصد أعداءه في الأماكن البعيدة . يُنْظَر : السابق نفسه ، وفيه يرى الدكتور عبد المجيد دياب محقِّق الشرح - وهو ما أوافقه عليه - أنَّ كلمة (كتائب) تروى بالرفع والنَّصب على أنَّك قُدْتَ إلى الحرب كتائب ، حيث إنَّه قبل هذا البيت ، في البيت السابع والثلاثين ، يقول :

وَقُدْتَ إِلَيْهَا كُلَّ أَجْرَدَ سَابِحٍ يُؤَدِّيكَ غَضْبَانًا وَيُثْنِيكَ رَاضِيًا

ومَنْ رفع ، فعلى تقدير لك كتائب أو ما انفكَّت لك كتائب .

٦٠- السابق نفسه .

٦١- يُنْظَر : الحال في الأسلوب القرآني ، ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

٦٢- شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ، ١٥٩ / ٤٢ - ٤٣ .

٦٣- السابق ، نفسه .

٦٤- د . فؤاد مرعى : في العلاقة بين المبدع والنَّص والمتلقي ، ص ٣٣٩ .

٦٥- شرح ديوان المتنبي ، ٨٨ - ٨٩ / ٤ - ٦ .

٦٦- السابق نفسه ، حيث شرح أبي العلاء .

٦٧- يُنْظَر : شرح المفصل ١ / ٦٧ ، ٦٨ .

٦٨- يُنْظَر : شرح الكافية ٢ / ٤١ ، ودلائل الإعجاز ص ٢٠٢ - ٢٠٤ ، ٢١١ .

٦٩- يُنْظَر : شرح المفصل ٣ / ٤٧ ، والصفة « فائدتها وأحكامها» للدكتور صبحي رشاد عبد الكريم ، ص ٤٤٢ .

٧٠- يُنْظَر : شرح المفصل ١ / ٥٤ ، وشرح الكافية ٢ / ٢٩٨ ، وأوضح المسالك ٣ / ٢٧٥ - ٢٢٧٦ ، وهمع الهوامع ٣ / ١١٩ ، وشرح الأشموني ٣ / ١١٥ ، وشرح التصريح ٢ / ١١٢ ، والنحو الوافي ٣ / ٤٧٤ - ٤٧٦ .

٧١- يُنْظَر : شرح ديوان المتنبي ٢١ / ٢٠ ، ٢٢ / ٦ ، ٢٥ / ٥ ، ٢٦ / ٢٧ ، ٢٧ / ٣٣ ، ٢٩ / ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٣٠ / ٤٣ ، ٤٥ ، ٣٧ / ١١ ، ٣٨ / ١٦ ، ٣٩ / ٢٠ ، ٤٢ / ٣ ، ٥٥ / ٤٠ ، ٤١ ، ٥٦ / ٤٢ ، ٥٩ / ٣ ، ٦٢ / ١٤ ، ٦٣ / ١٩ ، ٦٧ / ٣٢ ، ٦٩ / ٣٨ ، ٧١ / ٤٦ ، ٤٧ ، ٧٤ / ٢ ، ٥ ، ٧٩ / ١٧ ، ٨١ / ٢٤ / ٨٣ / ٣٠ ، ٩٨ / ٢٨ ، ١٠٢ / ٥ ، ١٠٣ / ٩ ، ١٠٦ / ١٩ ، ١٠٩ / ٢٨ ، ١١١ / ٣٦ ، ١١٣ / ٤٢ ، ١١٩ / ١٦ ، ١٢٨ / ٩ ، ١٤٢ / ٢٩ ، ١٤٨ / ٥ ، ٦ ،

٨، ١٥٠/ ١٢، ٣، ١٥٦/ ٣١، ١٦٠/ ٣، ١٦١/ ٦، ٧، ١٦٩/ ٥، ١٧٣/ ٢٠، ١٧٤/ ٢٤، ١٨٤/ ٣، ١٩٧/ ٢٣، ١٩٨/ ٣٠، ٢٠٧/ ٨، ٢٢٤/ ١١، ٢٢٥/ ١٩، ٢٢٧/ ٢٦، ٢٢٩/ ٣٥ .

٧٢- يُنْظَر : السابق ٢١/ ٣، ٢٢/ ١٤، ٢٥/ ٢٤، ٢٨/ ٣٤، ٢٨/ ٧، ٣١/ ٤٥، ٥٩/ ٥، ٦٣/ ١٧، ٦٥/ ٢٥، ٨٩/ ٧، ١٠٤/ ١٠، ١٤٤/ ٣٦، ١٤٥/ ٣٧، ١٤٧/ ٤، ١٤٩/ ٦، ١٥١/ ١٧، ١٥٨/ ٣٧، ١٦١/ ٥، ١٦٣/ ٤، ١٧٧/ ١، ١٧٨/ ٤، ١٨٤/ ٤، ١٨٥/ ١، ١٨٧/ ٤، ١٨٨/ ٨، ١٩٧/ ٢٤، ١٩٩/ ٣٢، ٢٠٨/ ١٠، ٢١٥/ ٣٣، ٢٢٨/ ٣٢ .

٧٣- يُنْظَر : السابق ٥٥/ ٣٩، ٦٠/ ٦، ٦٢، ١٦/ ٦٤، ٢٢، ٦٨/ ٣٤، ٧١/ ٤٥، ١٠٣/ ٩، ١١٦/ ٦، ١٤٨/ ٦، ١٥٤/ ٢٤، ٢٦، ١٥٧/ ٣٤، ١٥٨/ ٤٠، ١٥٩/ ٤٢، ٣٦٠، ١٦١/ ١٠، ١٦٣/ ٥، ٦، ١٦٨/ ٢، ١٧١/ ١١ .

٧٤- يُنْظَر : سعاد عبد العزيز المانع : سيفيات المتنبي «دراسةٌ نقدية للاستخدام اللغوي» ص ٢٣٩ .

٧٥- شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ، ٦٩/ ٣٨ .

٧٦- السابق ، نفسه .

٧٧- الكتاب ١/ ١٢٨ ، ويُقْصد بكلمة (الوصْل) جملة الصلة ، وقوله : «لأنَّه في موضع ما يكون من الاسم» يعنى أنَّ الصفة والموصوف كالشيء الواحد ، فالصفة بعض الموصوف .

٧٨- يُنْظَر : شرح الكافية ٢/ ٢٩٨ .

٧٩- نحو أجرومية للنص الشِّعْريّ ، ص ١٥٥ .

٨٠- شرح ديوان المتنبي ١٤٢/ ٢٨، ٢٩ .

٨١ - السابق ٤/ ١٤٢ .

٨٢ - السابق ١٤٤/ ٣٥ - ٣٦ ، والجَمَام : الراحة .

٨٣ - السابق ٤/ ١٤٤ - ١٤٥ .

٨٤- يُنْظَر : الإتقان في علوم القرآن ٢/ ٢٨١ ، والقضايا التركيبية وعلاقاتها بالدلالة في شعر الأعشى ص١٥٨-١٧٠ .

٨٥- د . زين الخويسكي : الجملة الفعلية بسيطة وموسعة «دراسة تطبيقية على شعر المتنبي» ، ١/ ٤٣٠ .

٨٦- شرح ديوان المتنبي ١٧٣/ ١ .

٨٧- السابق ٤/ ١٧٣ .

٨٨- الحج ، الآية ٦٣ .

٨٩- الكشاف ٣/ ٢١ وقد علّل الزمخشري رفع الفعل (تصبح) في الآية بقوله : « فإنْ قلت : فما له رفع ، ولم ينصب جوابًا للاستفهام ؟ قلت : لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض ؛ لأنَّ معناه

إثبات الاخضرار ، فينقلب بالنَّصب إلى نفي الاخضرار» . ويُنْظَر : الزمن في القرآن الكريم «دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه» للدكتور بكري عبد الكريم ، ص ٢٨ .

٩٠ - شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ، ٧١ / ٤٥ .

٩١ - السابق ٤ / ٧١ .

٩٢ - السابق ٤ / ٦١ .

٩٣ - السابق ، نفسه .

٩٤ - سيفيات المتنبي «دراسة نقدية للاستخدام اللغوي» ،ص ٢٤٢ .

٩٥ - المقتضب ١/ ١٩ ؛ ويُنْظَر : ٣/ ١٣٠ .

٩٦ - يُنْظَر : السابق ٢/ ٢٩٥ ، ٣/ ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، وهمع الهوامع ١/ ٢٨٣ ، وشرح الأشموني ١/ ٢٠٧ - ٢٠٨ .

٩٧ - يُنْظَر : شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ٣٦/ ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٣٧/ ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ٤٠/ ٢٣ ، ٥٣/ ٣٣ ، ٥٥/ ٤٠ ، ٥٨/ ١ ، ٦١/ ٩ ، ٦٢/ ١٣ ، ٦٣/ ١٨ ، ٧١/ ٤٧ ، ٧٧/ ٨ ، ٨١/ ٢١ ، ٨٦ / ٣٩ ، ٤٠ ، ٨٨ / ٣ ، ٨٩/ ٩ ، ٩٢/ ٩ ، ٩٣/ ١٢ ، ٩٧/ ٢٥ ، ١٠١/ ٢٦ ، ١٠٥/ ٤ ، ١٠٨/ ١٦ ، ٢٥ ، ٠٤١/ ١٢ ، ١١٠/ ٣٠ ، ١١١/ ٣٣ ، ١١٢/ ٣٧ ، ١١٨/ ٤١ ، ١٢٧/ ١٢ ، ١٣١/ ٤ ، ٧ ، ٣٢/ ٢١ ، ١٣٨/ ١٠ ، ١٤٧/ ٣ ، ١٥٢/ ٢٠ ، ١٦٨/ ٣ ، ٣٥/ ٢٠٠ ، ٢٠٧/ ٨ ، ٩ ، ٢٢٤/ ١٦ ، ٢٢٥/ ٢٠ ، ٢٢٨/ ٢١ ، ٣١ .

٩٨ - السابق ١٩/ ٦ ، ٢١ / ١٠ ، ٢٤/ ٢٨ ، ٢٧/ ٣٢ ، ٢٨/ ٣٤ ، ٣٥/ ١ ، ٣٧/ ٩ ، ٤٨/ ١٨ ، ٣٨ ، ٥٢ / ٣٠ ، ٦١/ ٩ ، ١٢ ، ٦٣/ ٣٨ ، ٦٩/ ٣٨ ، ٧٤/ ٦ ، ٧٥/ ١ ، ٧٧/ ٧ ، ٨٧/ ١ ، ٩٠/ ١ ، ٩١/ ٣ ، ٩٢/ ٧ ، ٩٣/ ١٥ ، ٩٤/ ١٧ ، ٩٨/ ٢٩ ، ١٠١/ ٤ ، ١١٠/ ٣ ، ١١١/ ٣٤ ، ١١٢/ ٣٨ ، ١١٦/ ٣ ، ١١٧/ ٩ ، ١١٨/ ١١ ، ١١٩/ ١٥ ، ١٢١/ ٢٣ ، ١٢٢/ ١ ، ١٢٣/ ٤ ، ١٢٧/ ٣ ، ١٣١/ ١٧ ، ١٥٤/ ٢٤ ، ١٥٦/ ٣٢ ، ٣٣ ، ١٦٢/ ٨ ، ١٦٧/ ٤ ، ١٦٨/ ١ ، ١٨٧/ ٥ ، ١٨٨/ ٦ ، ٨ ، ١٩٥/ ١٦ ، ١٩٦/ ٢٠ ، ٢١ ، ٢٠٨/ ١٠ ، ٢١٠/ ١٧ ، ٢١٢/ ٢١ ، ٢١٥/ ٣١ ، ٢١٧/ ٣٦ ، ٢١٩/ ٤٦ ، ٢٢١/ ٦ ، ٧ ، ٢٢٥/ ٢٠ ، ٢٢ .

٩٩ - السابق ٢١/ ١١ ، ٢٥/ ٢٦ ، ٣٤/ ٧ ، ٣٨/ ١٦ ، ٤٨/ ١٦ ، ٦١/ ١١ ، ٦٤/ ٢٤ ، ٦٩/ ٣٧ ، ٨٥ / ٣٤ ، ٣٦ ، ٨٧/ ٤١ ، ١٠٩/ ٢٩ ، ١١٠/ ٣٢ ، ٣٣ ، ١١٥/ ٢ ، ١٢٠/ ١٩ ، ١٢٤/ ١٠ ، ١٣٩/ ١٤ ، ١٤٧/ ٣ ، ١٥٢/ ١٥ ، ١٦١/ ٧ ، ١٧٠/ ٩ ، ٢٠٥/ ٢ ، ٢٢٢/ ٧ .

١٠٠ - السابق ، ٣٦/ ٥ ، ٦ .

١٠١ - يُنْظَر : السابق نفسه . وأن تُهَنَّا : أصله أنْ تهنَّأ ، فخفف الهمزة بإبدالها ألفًا ، وما يسرح : ما يذهب من الدواب والوحش ، والغبراء : الأرض ، والخضراء : السماء .

١٠٢ - السابق ، الجزء الرابع ٥٨/ ١ .

١٠٣ - يُنْظَر : السابق ٤/ ٥٨ .

١٠٤- السابق ١٠١/ ٣ ، ٤ .

١٠٥- السابق ٢٠٥/ ١ ، ٢ ، ويُنْظَر : «وجدانيات أبى الطيب المتنبي دلالاتها وسماتها الفنية» ، للدكتور أحمد عبد الغفار ، ص ٥٣ وما بعدها .

١٠٦- السابق ٤/ ٢٠٥ .

١٠٧- د . أحمد كشك : الزحاف والعلة « رؤية في التجريد والأصوات والإيقاع» ، ص ٢٩ .

١٠٨- يُنْظَر : شرح المفصل ٣/ ١٥١-١٥٢ ، وأوضح المسالك ١/ ١٥٠-١٦١ ، وهمع الهوامع ١/ ٢٨١ -٢٨٥ ، وشرح التصريح ١/ ١٤٢ -١٤٣ ، والنحو الوافي ١/ ٣٩٤ -٣٩٩ ، وظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، ص ٢٢٨ .

١٠٩- المقتضب ١/ ١٩ ، ويُنْظَر :أمالي ابن الشجري ١/ ٥-٨ ، ١٠١ ، ١٤٠ ، ٢/ ٧١ ، ٥٨ ، ٣/ ٦٨ .

١١٠- يُنْظَر : شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ٣٦/ ٧ ، ٣٧/ ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ٤٠/ ٢٣ ، ٤٨ /١٨ ، ٥٢/ ٣٠ ، ٦٩/ ٣٨ ، ٧٥/ ١ ، ٧٧/ ٧ ، ٩٢/ ٧ ، ٩٧/ ٧ ، ٩٨/ ٧ ، ٩ ، ١٠١/ ٤ ، ١٠٨/ ٢٥ ، ١١٠/ ٣٠ ، ١١٢/ ٣٨ ، ٤١ ، ١١٧/ ٩ ، ١١٨/ ١١ ، ١٢ ، ١٢٧/ ٣ ، ١٣١/ ١٧ ، ١٣٢ / ٢١ ، ١٥٦/ ٣٢ ، ١٦٢ / ٨ ، ١٦٨/ ٣ ، ١٨٨/ ٨ ، ٢٠٨/ ١٠ ، ٢١٥/ ٣١ ، ٢١٧ / ٣٦ ، ٢٢٥/ ، ٢٠

١١١- السابق ٤٨ / ١٨ .

١١٢- السابق ٤ / ٤٨ - ٤٩ .

١١٣- شرح المفصل ٢ / ٣٩ ، ويُنْظر :الكتاب ١/ ٤٠ - ٤٣ ، ٨٧ - ٨٨ ، والمقتضب ١/ ١٩ - ٢٠ ، والإيضاح في علوم البلاغة ص ١٠٩ - ١١٥ .

١١٤- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ٢٥٢ ، ويُنْظَر : المقتضب ٣/ ١١٥ ، والقضايا التركيبية في شعر الأعشى ، ص ٨٨ - ٩٠ .

١١٥- يُنْظَر : القضايا التركيبية في شعر الأعشى ، ص ١٤-١٧ ، وفى العلاقة بين المبدع والنَّص والمتلقي يُنْظَر : د . فؤاد مرعى : العلاقة بين المبدع والنَّص والمتلقي ص ٣٣٥ - ٣٦٠ وبخاصة حديثه عن المبدع والنَّص ، وعصر المتلقي ، ومجالات دراسة التلقي ، ومعايير التلقي ، ويُنْظَر : العلاقة بين القارئ والنَّص في التفكير الأدبي المعاصر ، للدكتور رشيد بنجدو ، ص ٤٧١ -٤٩٤ .

١١٦- شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ٢٢٥/ ١٩ ، ٢٠ ويُنْظَر أيضا ١١٨/ ١١ ، ١٦٢/ ٨ .

١١٧- يُنْظَر : السابق ٤ / ٢٢٥ .

١١٨- See : Cohesion in English , P , 295 .

١١٩ - الكتاب ٢ / ١٢٧

١٢٠- المقتضب ٤ / ١٢٧ ، ١٢٨ ، ويُنْظَر : أيضا ٢/ ٢٩٥ ، وشرح المفصل ١/ ٨٧ - ٨٨ ، وأوضح المسالك ١/ ١٧٨ - ١٧٩ ، وهمع الهوامع ١/ ٣١٨ ، وشرح الأشموني ٢٦٠ ، والنحو الوافي ١/ ٤٦٦ - ٤٧٤ ، وبناء الجملة العربية ص ٨٩ وما بعدها .

١٢١- يُنْظَر : شرح المفصل ١/ ٨٨ - ٨٩ .

١٢٢ - يُنْظَر : شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ٩١/ ٤ ، ٩٣ ، ١٥ ، ١٧٢/ ١٨ .

١٢٣- السابق ٢٠/ ٧ ، ٣٠/ ٤٠ ، ٣٣/ ٥ ، ٣٤/ ١٠ ، ٤١/ ٢٤ ، ٤٤/ ٧ ، ٥٩/ ٥ ، ٦٥/ ٢٦ ، ٦٧/ ٣٠ ، ٣١ ، ٦٨ ، ٣٣ ، ٨٨/ ٤ ، ٥ ، ١٠٢/ ٥ ، ١٠٦/ ١٧ ، ١٠٧/ ٢٠ ، ٢٢ ، ١٠٨/ ٢٣ ، ١١٠/ ٣٢ ، ١٢٤/ ٨ ، ١٢٧/ ٥ ، ١٣٤/ ١ ، ١٣٥/ ٣ ، ١٤٠/ ١٨ ، ١٤١/ ٢٥ ، ١٤٧/ ٣ ، ١٥٢/ ٢٠ ، ١٥٤/ ٢٧ ، ١٧٤/ ٢٤ ، ١٨٦/ ٥ ، ١٩٨/ ٢٧ ، ٢٠٦/ ٤ ، ٢١٧/ ٣٧ ، ٢١٨/ ٤٠ ، ٤١ ، ٢٢٢/ ١١ ، ٢٢٥/ ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٢٩/ ٣٣ ، ٢٢٧/ ٢٧ .

١٢٤- السابق ٣٣/ ٤ ، ٣٤/ ٩ ، ٨٣/ ٣٠ ، ٤٨/ ١٨ ، ٦٠/ ٨ ، ١٠٢/ ٧ ، ١٢٢/ ٢٥ ، ١٢٨/ ٦ ، ١٤١/ ٢١ ، ٢٢ ، ١٥٨/ ٣٧ ، ١٦٥/ ٣ ، ١٦٧/ ٤ ، ١٧١/ ١١ ، ١٧٣/ ٢١ ، ٢٢ ، ١٨٧/ ٥ ، ١٩٦/ ٢٠ ، ١٩٩/ ٣٢ ، ٢٠٦/ ٥ .

١٢٥- السابق ٢٤/ ٢٠ ، ٦٧/ ٣٢ ، ٧٤/ ٣ ، ٨٢/ ٢٥ ، ٩٠/ ١٠ ، ١٣٩/ ١٥ ، ١٩٧/ ٢٢ ، ٢٠٠/ ٣٥ .

١٢٦- السابق ، الجزء الرابع ، ٩١/ ٤ ، والجدير بالذكر أنَّ بالكافوريات ثلاثة مواضع ، ربما يُخَيّل للناظر من الوهلة الأولى أنَّ الخبر عبارة عن جملة اسمية مصدَّرة بالناسخ الفعليّ كان ، لكن بالفحص يتبين أنَّ كان زائدةٌ - لتأكيد وتقوية الدلالةَ على الزّمن الماضي - وما بعدها خبرٌ للناسخ (كأن ، تك) في بداية الجملة ، وذلك في المواضع ١٣٢/ ٢٠ ، ١٨٣/ ١ ، ١٨٤/ ٢ وبناء عليه فلا يمكن إدراجها في إحصائنا هنا . يُنْظَر : الكتاب ١/ ٧٣ ، ٢/ ١٥٣ ، والخصائص ١/ ٣١٧ ، والأصول في النحو ٢/ ٢٥٨ ، والقضايا التركيبية في شعر الأعشى ص ٢٤٠ - ٢٤٢ ، حيث الحديث عن زيادة الفعل .

١٢٧ - يُنْظَر : شرح ديوان المتنبي ٤/ ٩١ .

١٢٨ - يُنْظَر : السابق ، نفسه .

١٢٩ - يُنْظَر : السابق ٩٣/ ١٥ ، ١٣٢/ ٢٠ ، ١٧٢/ ١٨ .

١٣٠ - السابق : ١٠٦/ ١٧ .

١٣١ - السابق ٤/ ١٠٦ .

١٣٢ - السابق ، الجزء الرابع ١٩٥ - ١٩٦/ ١٧ - ٢٠ ، ويُنْظَر : وجدانيات أبي الطيب المتنبيُ ، ص ٢١ ، ١١٩ .

١٣٣ - يُنْظَر : السابق ٤/ ١٩٥ - ١٩٦ .

١٣٤- شرح المفصل ١/ ٨٩ ، ويُنظَر أيضا ٣/ ١٥١ .

١٣٥- يُنْظَر : شرح ديوان المتنبي ٢٠٠/ ٣٥ .

١٣٦- السابق ٨١ - ٨٢/ ٢٣ - ٢٥ .

١٣٧- يُنْظَر : السابق ٤/ ٧٥ .

١٣٩- مغني اللبيب ٢ / ٤٦٦ - ٤٦٧ ، ويُنْظَر : النحو الوافي ١ / ٤٣٣ - ٤٤٤

١٤٠- يُنْظَر : الكشاف ١ / ٣٣٥ ، ٥٧٢ ، وشرح المفصل ٣ / ١٥١ ، والبحر المحيط ٣ / ٣٧٤ ، وهمع الهوامع ٢ / ٤٦٨ ، والنحو الوافي ١ / ٤٤٣ - ٤٤٤ ، ٤ / ٤٥٥ هامش ٥ ، وإعراب الجمل وأشباه الجمل للدكتور فخر الدين قباوة ، ص ١٤٩ ، وأساليب التوكيد في القرآن الكريم ، لعبد الرحمن المطردي ، ص ٢١٢ ، ٢١٣ .

١٤١ - يُنْظَر : الجملة الفعلية «بسيطة و موسعة» ، ١ / ٣ .

١٤٢- ديوان الأعشى ٢٧٣ ، ٢٧٤ / ٥١ ، ٥٢ ، واليفاع : الأرض المرتفعة ، والمقرور : مَنْ أصابه البرد ، والمحلق : اسم شخص ، ويُنْظَر : القضايا التركيبية في شعر الأعشى ، ص ٢١٥ - ٢٣٨ .

١٤٣- دلائل الإعجاز ، ص ١٧٦ - ١٧٧ .

١٤٤- شرح الكافية ٢ / ٤١ .

١٤٥- الصف ، الآية ٥ .

١٤٦- يُنْظَر : شرح المفصل ٢ / ٦٧ ، والبحر المحيط ٨ / ٢٦٢ ، وأوضح المسالك ٢ / ٣٠٦ ، وهمع الهوامع ٢ / ٢٤٨ ، وشرح الأشموني ٢ / ٣٢٦ ، وشرح التصريح ١ / ٣٩١ ، والنحو الوافي ٢ / ٣٩٦ .

١٤٧- يُنْظَر : شرح الكافية ٢ / ٤٤ ، وشرح الأشموني ٢ / ٣٢٦ ، والحال المنفية في الشعر الجاهلي «دراسة في النحو والدلالة» للدكتور على محمد هنداوي ، ص ٢٦ - ٢٨ .

١٤٨- يُنْظَر : شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ٤٤ / ٧ ، ٦٧ / ٣١ ، ١١٢ / ٣٩ ، ٢٢٩ / ٣٦ .

١٤٩- يُنْظَر : شرح المفصل ٢ / ٦٦ ، وشرح الكافية ٢ / ٤١ ، وهمع الهوامع ٢ / ٢٤٧ ، ٢٥٠ .

١٥٠- شرح ديوان المتنبي ٤٤ / ٦ ، ٧ . وحيران : ماء بالشام ، وقيل : جبلٌ كانت ظهرت للمتنبي فيه خيلٌ ، وهو عليه .

١٥١- يُنْظَر : الكتاب ١ / ٩٠ ، والمقتضب ٣ / ٢٦٣ ، ٤ / ٢٥ ، ومعاني القرآن للفرّاء ١ / ٢٤٠ - ٢٤١ .

١٥٢- دلائل الإعجاز ٢١٤ .

١٥٣- شرح ديوان المتنبي ٤/ ٤٤ .

١٥٤- يُنْظَر : دلائل الإعجاز ، ص ٢١٢ .

١٥٥- السابق ص ٢١٢ - ٢١٣ .

١٥٦- يُنْظَر :شرح التصريح ١/ ٣٩١ .

١٥٧ - يُنْظَر : دلائل الإعجاز ، ص ٢١٤ .

١٥٨- السابق ٢١٢ .

١٥٩ - يُنْظَر دلائل الإعجاز ، ص ٢١٣ ، ٢١٥ .

١٦٠- يُنْظَر : شرح التصريح ١/ ٣٩١ .

١٦١- يُنْظَر : شرح ديوان المتنبي ، والجزء الرابع ،٥٦/ ٤٤ ، ٦٠/ ٦ ، ٨٧/ ٢١ ، ١٠٦/ ١٧ ، ١١٦ / ٥ ، ١٣٢/ ٢٠ ، ١٣٩/ ١٤ ، ١٨٩/ ٣ ، ٢١٦/ ٣٥ ، ٢١٧/ ٣٦ .

١٦٢- النساء ، الآية ٩٠ .

١٦٣- يُنْظَر : معاني القرآن للفرّاء ١/ ٢٤ ، ٢٨٢ ، والمقتضب ٤ / ١٢٤ - ١٢٥ وتعليق المحقق بالهامش والإنصاف ١/ ٢٥٢ - ٢٥٨ ، والبحر المحيط ٣/ ٣١٧ ، ٦/ ٣٥٥ ، ٧/ ٤٩٣ ، ٨/ ٤٢٣ ، وشرح الكافية ٢/ ٤٤ - ٤٥ ، وشرح الأشموني ٢/ ٣٢٦ وعلى الرغم من أنَّ المرجّح لدى النَّحويّين هو ما ذهب إليه البصريون على النحو الذي وضّحه صاحب الإنصاف ، فإنّني أميل إلى رأي الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد في تعليقه بهامش أوضح المسالك ٢ / ٣٠٧ - ٣٠٨ ، فقد أورد شواهد من الشعر والقرآن لمجيء الماضي المثبت حالاً بدون قد ، منتهيًا إلى قوله : وإذا كثرت الشواهد وورد الاستعمال في القرآن الذي هو أفصح الكلام ، فمن اللّجاجة أنْ ننكره ، أو نتلمس له تخريجًا آخر . . . إلخ .

١٦٤- يُنْظَر : أساليب التوكيد في القرآن الكريم ، ص ٩٣ - ٩٧ ، ومغني اللبيب ١/ ٣٩٥ ، والبقرة ، الآيات ٧٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤٦ ، وآل عمران ، الآية ٤٠ ، والنساء ، الآيتان ٦٠ ، ١٦١ ، ويونس ، الآية ٥١ على سبيل المثال .

١٦٥- يُنْظَر السابق ص ٩٢- ٩٣ ، والرعد ، الآيتان ٤١ - ٤٢ ، وطه ، الآية ٦١ ، والعنكبوت ، الآية ٣٨ ، ونوح ، الآية٢٣ ، والشمس ، الآيتان ٩ - ١٠ على سبيل المثال .

١٦٦- شرح ديوان المتنبي ، ١٨٩/ ٣ .

١٦٧ - يُنْظَر : السابق ٤/ ١٨٩ ، وبسيطة : أرض بقرب الكوفة ، والصوار : القطيع من البقر الوحشي .

١٦٨- يُنْظَر : السابق ٤/ ١٨٩ - ١٩٠ .

١٦٩- يُنْظَر : شرح الكافية ٢/ ٤٦ .

١٧٠- يُنْظَر : دلائل الإعجاز ، ص ٢١٤ - ٢١٥ .

١٧١- يُنْظَر : نحو أجرومية للنص الشّعْريّ ، ص ١٥٧ .

١٧٢- شرح ديوان المتنبي ٥٦/ ٤٤ .

١٧٣ - السابق ، ٥٤/ ٣٦ .

١٧٤ - السابق ، ٤/ ٥٤ .

١٧٥ - السابق ، ٤/ ٥٧ .

١٧٦ - يُنْظَر : شرح المفصل ، ٢/ ٦٧ .

١٧٧- شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ١١٦/ ٥ ، ويُنْظَر : ٨٧/ ٢١ .

١٧٨ - السابق ٤/ ١١٦ .

١٧٩- يُنْظَر : السابق ٤/ ١١٥ ,

١٨٠- السابق ١٣٩/ ١٤ ، والقدُّ : القامة ، والحدُّ : يجوز أن يريد به أن يكون له قَدٌّ بلغ حدَّ الرجال ، وأن يريد به الحدَّة في الأمر .

١٨١- السابق ٤/ ١٣٩ .

١٨٢ - يُنْظَر : السابق ٤/ ١٣٤ .

١٨٣- يُنْظَر : شرح المفصل ٢/ ٦٦-٦٧ ، وشرح الكافية ٢/ ٤٣ ، وهمع الهوامع ٢/ ٢٤٨ ، وشرح الأشموني ٢/ ٣٢٦ ، وإعراب الجمل وأشباه الجمل ، ص ١٨٨ .

١٨٤- سورة الأنعام ، الآية ١١٠ .

١٨٥- يُنْظَر : شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ، ٥١/ ٢٥ ، ٥٨/ ١ ، ٥٩/ ٥ ، ٦١/ ١١ ، ٧١/ ٤٥ ، ٧٢/ ٤٨ ، ٩٨/ ٣٢ ، ١١٩/ ١٨ ، ١٣٣/ ٢٤ ، ١٤٨/ ٧ ، ١٥٣/ ٢٣ ، ١٥٥/ ٢٩ ، ١٦٦/ ٢ ، ١٧١/ ١٣ ، ١٧٣/ ٢٠ ، ١٧٥/ ٢٨ ، ٩٢/ ٦ ، ٢٠١/ ٣ ، ٢٠٩/ ١٤ ، ٢١٣/ ٢٦ ، ٢١٨/ ٤١ - ٤٢ ، ٢٢٤/ ١٨ .

١٨٦ - السابق ٧١ - ٧٢/ ٤٦ - ٤٨ ، والعسجد : الذَّهب ، وأستفيده وأستجدُّه بمعنى واحد ، ويُنْظَر أيضًا المواضع ٥١/ ٢٥ ، ١٧١/ ١٣ ، ٢١٨/ ٤١ ، ٤٢ .

١٨٧ - يُنْظَر : السابق ٤/ ٧١ - ٧٢ .

١٨٨ - يُنْظَر : همع الهوامع ٢/ ٢٥١ .

١٨٩- الحجر ، الآية ٤ ، وتجدر الإشارة إلى أنَّ للأستاذ عباس حسن رأي في هذه الآية ، وهو أنَّ الجملة الواقعة بعد (إلاَّ) في هذه الآية الكريمة (نعتٌ) والواو التي في صدرها هي واو زائدةٌ ، تلتصق بأول الجملة النعتية لتقوِّي دلالتها على النعت وتزيد التصاقها بالمنعوت ، ويسمُّونها بذلك واو اللصوق : يُنْظَر : النحو الوافي ٢/ ٣٩٧ هامش ١ .

١٩٠- شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ١١٩/ ١٨ ، ويُنْظَر أيضًا المواضع ٥٨/ ١ ، ٧١/ ٤٥ ، ١٤٨/ ٧ ، ١٥٥/ ٢٩ ، ١٦٦/ ٢ ، ١٧٣/ ٢٠ ، ١٧٥/ ٢٨ ، ٢٠١/ ٣ ، ٢٠٩/ ١٤ ، ٢٢٤/ ١٨ .

١٩١- السابق ٤/ ١٢٠ .

١٩٢- دلائل الإعجاز ، ص ٢٠٢ ، وتجدر الإشارة إلى أنَّه إذا كان ضمير صاحب الحال في الاسمية الحالية بعد الواو غير مبتدأ ، فيجوز تضمين هذه الجملة ضمير صاحب الحال ، نحو : أقبل محمد ويده على رأسه ، ويجوز تَرْك التضمين ، نحو : جاء زيدٌ وعمرو ضاحك : يُنْظَر : شرح المفصل ٢/ ٦٥ .

١٩٣- شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ٥٩/ ٣ - ٥ ويُنْظَر أيضًا المواضع ٦١/ ١١ ، ٩٨/ ٣٢ ، ١٣٣/ ٢٤ ، ١٥٣/ ٢٣ ، ١٩٢/ ٦ ، ٢١٣/ ٢٦ ، وألهبا : بقر الوحش ، وعنى بها النساء ، و (يولَى) : من الوَلي ، وهو الثاني من المطر ، والهاء في (كلها) للمها ، وفي (جفنيه ، وخده) يعود إلى لفظ (كل) يُنْظَر : المصدر نفسه ٤/ ٥٩ .

١٩٤- يُنْظَر : السابق ٤ / ٥٩ .

١٩٥- يُنْظَر : أوضح المسالك ٢ / ٣٠٩ هامش ٣ ، وهمع الهوامع ٢ / ٢٥٠ .

١٩٦- في بقية المواضع التي تقدم فيها الخبر على المبتدأ في الجملة الحالية ، كان التقديم وجوبا ، لعدم وجود مسوغ آخر من مسوغات تقديم الخبر سوى تقديم الخبر شبه الجملة ، و ذلك في المواضع ١٥٣ / ٢٣ ، ١٩٢ / ٦ ، ٢١٣ / ٢٦ .

١٩٧- د . مصطفى الضبع : استراتيجية المكان ، ص ٣٥٨ ، ويُنْظَر : دلائل الإعجاز ، ص ٢٠٤ ، وسيفيات المتنبي ، ص ١٨٦ .

١٩٨- د . محمد حماسة : العلامة الإعرابية ، ص ٣٢٨ ، ويُنْظَر القضايا التركيبية في شعر الأعشى ، ص ٢٧٤-٢٧٦ .

١٩٩- يُنْظَر بقية المواضع شرح الديوان ١٥٣ / ٢٣ ، ١٩٢ / ٦ ، ٢١٣ / ٢٦ .

٢٠٠- دلائل الإعجاز ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

٢٠١- السابق ، ص ٢٠٣ .

٢٠٢- يُنْظَر ذلك في المواضع ٦١ / ١١ ، ٩٨ / ٣٢ ، ٣٣ / ٢٤ .

٢٠٣- الجملة في الشعر العربي ، ص ٢١٦ .

٢٠٤ شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ، ٩٨ / ٣٢ - ٣٣ .

٢٠٥- يُنْظَر : السابق ٤ / ٩٠ ، هامش ١ حيث تعليق المحقق .

٢٠٦- يُنْظَر : السابق ، ٤ / ٨٩ - ٩٠ .

٢٠٧- يُنْظَر : دلائل الإعجاز ، ص ٢٠٢ .

٢٠٨- يُنْظَر : شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ، ٦١ / ١١ ، ١٣٣ / ٢٤ .

٢٠٩- د . محمد فتوح أحمد : جدليات النَّص ، ص ٥٢ ، ويُنْظَر : اللغة بين المعيارية والوصفية للدكتور تمام حسان ، ص ٦٠ .

* * *